وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإسلامية

التشكيك في العقيدة الإسلامية عند المستشرقين

جولد زيهر أنموذجا

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

تخصص: العقيدة الإسلامية

إعداد الطالب
عبد اللطيف محجوبي

إشراف الأستاذ
أ.د. حاج امحمد قاسم

الموسم الجامعي
1443-1444هـ / 2022-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ
وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

[سُورَةُ الصَّفِّ:٨]

شكر وإهداء

الحمد لله والشّكر لله عزّ وجلّ من قبل ومن بعد

على نعمه الجليلة وأفضاله الجزيلة

ثم الشّكر لسيّد الخلق وحبيب الحق صلّى الله عليه وسلّم

الذي ودّ أن لو رآنا، وقال أمتي أمتي

ثم الشّكر للوالدين الكريمين رحمات الله عليهما

أهدي هذا العمل المتواضع إليها إقرارًا بوافر فضلهما

وإلى جدّي العالم الجليل الشيخ محمد الأخضر محجوبي رحمه الله

وإلى إخوتي وأخواتي، وأخصّ يوسف رحمه الله

وإلى الأعمام، أخصّ من علّماني الشيخ محمد الصالح والشيخ عمّار

وإلى زوجتي وأولادي

وإلى الأصدقاء، أخصّ السعيد بوعزّة

وإلى كلّ من علّمني حرفًا

وإلى أساتذتنا الكرام

وإلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور حاج امحمد قاسم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإسلامية
غرداية في: 30 - 05 - 2023

إذن بالطبع (مذكرة ماستر)

أنا الممضي اسفله

الاستاذ(ة): صالح احمد عباس

المشرف على المذكرة الموسومة بـ :
تأثير البيئة المشتركة في العقيدة الإسلامية
- حديث مسموع وأنموذجا -

من إعداد الطالب:
عبد اللطيف محجوبي

تخصص:
العقيدة ومقارنة الأديان

أقر بأن الطالب أنجز عمله وفق ما قدم له من نصائح وتوجيهات، واتبع فيه ضوابط ودليل إعداد مذكرة التخرج، وقد اصبحت جاهزة للطبع، وقابلة للمناقشة.

امضاء الاستاذ المشرف

صالح احمد

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإسلامية

غرداية في: ...../...../.....

تصريح شرفي للطالب

(يلتزم فيه بالقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها وفقا للقرار رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016)

أنا الممضي أسفله:

1) اسم ولقب الطالب (01): عبد المجيد محبوب

رقم التسجيل: UN 47 01 2022188116 24

التخصص: علوم اسلامية

2) اسم ولقب الطالب (02): /

رقم التسجيل: /

التخصص: /

المكلفان بإنجاز مذكرة التخرج لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر والموسومة بـ:

تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلامية "جولد تسيهر نموذجا"

أصرح بشرفي أني قمت بإنجاز مذكرة نهاية الدراسة المذكور عنوانها أعلاه بجهدي الشخصي، ووفقا للمنهجية المتعارف عليها في البحث العلمي(دليل إعداد مذكرات التخرج)، وبذلك أتحمل المسؤولية الكاملة عن أي مخالفة لقواعد الأمانة العلمية وما يترتب عن ذلك من متابعة بما فيها الإجراءات الإدارية حسب المقررات الوزارية المعمول بها.

التوقيع: الطالب الأول: ..... الطالب الثاني: .....

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كله ولو كره المشركون، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحقّ المبين، خصّنا بخيرِ كتابٍ وأكرمِ نبيٍّ وأفضلِ دينٍ، أخرجنا من الظلمات إلى النور، وجعلنا على صرط مستقيم، وأشهد أن سيّدنا محمّدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله بالحجّة والمحجّة البيضاء الصافية الناصحة، لا يزيغ عنها إلا شقيٌّ هالك، فاللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صلاةً دائمة ما تعاقب الليل والنهار، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد: فإنّ الغاية من خلق الله تعالى للإنسان هي أن يعبده ولا يشرك به شيئًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات: 56)، لذلك أرسل الله الرسل، فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: 25)، وقد اهتم الإسلام ببناء الدّين على أساس عقيدة صحيحة قويّة متينة، لأنّها جوهر الدّين، وركيزته الأساسيّة، فكان الاهتمام بالعقيدة من أوجب واجبات المسلمين، لكنّ المسلمين تغافلوا عنه، وعرف قيمته أعداء الإسلام، فجعلوا العقيدة الإسلاميّة غرضًا لسهامهم، وانطلقت جحافل الطعن والتشكيك في الدّين الإسلاميّ عامّة، وفي العقيدة الإسلاميّة خاصّة، إبّان مولده، كلُّ جيل يسلّم المِشعل لمن خلفه، حتى جاء دور المستشرقين، الذين تفنّنوا في صناعة الشبهات والأباطيل ضدّ الإسلام، وقد نالت العقيدة الإسلاميّة حظًّا وافرًا منها، وكان من بينهم جولد تسيهر، وفي هذا البحث –على تواضعه واختصاره الشديد– نبرز بعض تشكيكات المستشرقين في العقيدة الإسلاميّة، نخصّ منهم جولد تسيهر، ونردفها ببعض الردود عليهم.

إشكالية الموضوع:

إنّ موضوع "التشكيك في العقيدة الإسلاميّة عند المستشرقين، جولد زيهر أنموذجًا" لَيضمّ في جوانحه ما قام به المستشرقون –وخاصّة جولد تسيهر– من بحوث ودراسات في العقيدة الإسلاميّة بغية تشكيك المسلمين فيها، ومن أجل ذلك نطرح هذا التساؤل: هل شكّك المستشرقون في العقيدة الإسلاميّة؟ هذا هو السؤال المحوريّ الذي يدور حولة الموضوع.

وهذا حتمًا يسوقنا إلى تساؤلات أخرى عن المستشرقين، من هم؟ وما أهدافهم؟ وما وسائلهم؟

كما يسوقنا إلى تساؤلات أخرى عن جولد تسيهر، من هو؟ وما آثاره؟ وما تشكيكاته؟

ويسوقنا كذلك إلى تساؤلات أخرى عن العقيدة الإسلامية، هل هي مؤسّسةٌ على اليقين حتى يسعى الساعون من مستشرقين وغيرهم إلى التشكيك فيها؟ ما هي براهين يقينيّة العقيدة الإسلامّية؟ لماذا استهدفها أغلب المستشرقين؟ وخاصّة جولد تسيهر؟ ما الذي ترتّب على هذه التشكيك؟

وهذه أسئلة جانبيّة تحدّد أطراف هذا الموضوع.

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى الأمور التالية:

01: أهميّة العقيدة الإسلاميّة التي يرتكز عليها الإسلام.

02: خطورة التشكيك في العقيدة الإسلاميّة التي جعلها أعداء الإسلام هدفًا لسهامهم.

03: أهميّة الدراسات الاستشراقيّة التي شملت جميع المناحي العلميّة للإسلام، وادعاؤها الموضوعيّة.

04: عدوانيّة أغلب أحكام الدراسات الاستشراقيّة، وانخداع المسلمين بها.

05: تتلمذ بعض المسلمين على أيديهم، وتبنّيهم لأفكارهم، وتلميع أنفسهم بألقاب الحداثة والتنوير.

الهدف من دراسة هذا الموضوع:

لدراسة هذا الموضوع أهداف كثيرة منها:

01: إعطاء صورة عن التشكيك في العقيدة الإسلامية عند المستشرقين، وخاصّة جولد تسيهر.

02: فضح أهدافهم ووسائلهم ومخططاتهم، وفضح ادّعائهم الموضوعية والعلمية.

03: بيان أحقادهم على الإسلام والمسلمين.

04: إثبات تهافت مزاعمهم التشكيكيّة الباطلة.

05: توضيح يقينيّة العقيدة الإسلاميّة.

أسباب اختيار الموضوع:

أمّا أسباب اختار هذا الموضوع فهي كثيرة شتّى أهمّها:

01/ ما أصبحنا نسمعه بين الفينة والفينة في مجتمعاتنا الإسلاميّة –عالميًّا أو وطنيًّا أو محليًّا– من شبهات وأباطيل، تُشكِّك في الدّين –مصادره ومضامينه– بشكل فجّ علنيّ.

02/ إشاعات في وسائل الإعلام، والتي وجدت ضالتها في هذه المواضيع، وذلك لكسب سبق صحفيّ، أو لكسب عائد ماليّ، أو لانجرارهم خلف المنظمات العالميّة الهدّامة، ناهيك عمّا عند الأوساط الغربية من قوّة إعلاميّة أو نفوذ سياسيّ...كل ذلك كان له الأثر السلبيّ على المسلمين.

03: التحدّي الذي شكّله تشكيك المستشرقين في منظومتنا التعليميّة والعلميّة والثقافيّة والفكريّة، على الخواصّ، وخواصّ الخواصّ من العلماء والجامعيين، ثمّ امتدّ إلى العوام.

المنهج المتّبع في الدّراسة:

لقد تزاوج في هذا البحث منهجان هما:

01: المنهج التقريريّ الذي يعتمد على الدراسة التحليليّة والاستنباطيّة، حيث أقوم بعرض أشهر النصوص، ثمّ دراستِها واستنباطِ الرأي الذي أجنح إليه.

02: المنهج النقديّ الذي يعتمد على الدراسة التحليليّة والنقديّة، فأقوم بعرض التشكيك كما ذكره صاحبه، مع مراعاة الأمانة في النقل، ثم أقوم بنقده والردّ عليه.

ومن حيث المنهجيّة فقد قمت بترجمة المستشرقين الذين استدللت بهم أو عليهم أو بأقوالهم، ولم أترجم للمستشرقين الذين ذكرتهم سردًا بسبب محدودية حجم البحث، كما لم أترجم للأعلام المعروفين.

أمّا بالنسبة للأحاديث فقد اكتفيت بعزوها إلى أئمة التدوين، مع ذكر الكتاب والباب والرقم فقط.

ولقد واجهت صعوبات أهمها الإلمام بموضوع متشعّب واسع في عدد قليل من الصفحات، رغم جهدي في الاختصار والاقتضاب.

حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة في أغلبها من حيث الزمان ما يقارب القرنين من زمننا، أي منذ ظهور مصطلح الاستشراق والمستشرقين، رغم التعريج إلى العصور القديمة، أمّا من حيث المكان فقد اتّسعت للغرب بمكونيه أوروبا وأمريكا، كما اتّسعت للشرق بمكونيه آسيا وشمال إفريقيا، وخصّصْتُ الدراسة على العالَم الإسلاميّ، أمّا من حيث المضمون فقد تحدّد البحث في الدراسات العقديّة الإسلاميّة.

خطة البحث:

لقد حاولت لملمة الموضوع في العناصر التالية:

المقدمة، وتشتمل على: موضوع الدراسة، وأهمّيته، وإشكاله، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وخطته، والدراسات السابقة.

أمّا الفصل الأول، ففيه مفهوم العقيدة الإسلامية وحقيقة التشكيك فيها، ويضم مبحثين:

المبحث الأول: يدور حول بيان مفهوم العقيدة الإسلامية لغة واصطلاحا، وتحديد مضامينها.

المبحث الثاني: ويتناول التشكيك في العقيدة الإسلامية، التي الأصل فيها اليقين، مع تعريفات الشكّ واليقين.

ثمّ الفصل الثاني: وهو الجانب النظري الذي نبيّن فيه تشكيكات المستشرقين في العقيدة الإسلامية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وفيه نتعرّف على مفهوم الاستشراق والمستشرقين، وتاريخهم، وأهدافهم، ووسائلهم.

المبحث الثاني: نحاول كشف نماذج من تشكيكات المستشرقين في العقيدة الإسلامية وأصولها، ووصلها بالردود عليها.

أمّا الفصل الثالث فقد تجسّد في التشكيكات التي أثارها جولد تسيهر في العقيدة الإسلامية، وقد قمنا بالردّ عليها.

وأخيرًا الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

إن الدراسات التي تحدثت عن تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلاميّة كاملة أو في بعض مواضيعها كثيرة، وسنكتفي منها على الدراسات التي تحدثت عن تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلاميّة كاملة، منها:

01: "موقف جولد تسيهر من العقيدة والفرق والدعوات الاصلاحية" بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة بجامعة أم القرى المملكة العربية السعودية كلية الدعوة وأصول الدين، للطالب حمزة بن عبد المطلب عزيز، أشرف عليه الدكتور إبراهيم خليفه عبد اللطيف خليفه.

02: "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين" كتاب لمحمد الغزالي، أبدى فيه مطاعن جولد تسيهر، ناقش هذه المزاعم وردَّ عليها.

03: "من افتراءات المستشرقين على الأصول العقديّة" لعبد المنعم فؤاد.

والله نسأل أن يمدّنا بالعون ويسدّد خطانا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفصل الأول

مفهوم العقيدة الإسلامية

و

حقيقة التشكيك فيها

المبحث الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية

إنّ تناول موضوع تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلامية يحتم علينا بِدءًا أن نُبرز مفهوم العقيدة الإسلامية، وأن نُبيّن مدى علاقتها باليقين الذي هو محل تشكيك المستشرقين، وهذا ما نتناوله في هذا المبحث، ونبدأ بإبراز مفهوم العقيدة الإسلامية.

المطلب الأول: تعريف العقيدة الإسلامية:

من أجل أن نتعرّف على العقيدة الإسلامية، لا بدّ أن نُعرّف العقيدة لغة ثم اصطلاحا، ومنه نُعرّفُ العقيدة الإسلامية.

الفرع الأول: تعريف العقيدة لغة:

العقيدة على وزن فعيلة بمعنى: مفعولة، كفريضة بمعنى: مفروضة، فهي عقيدة بمعنى معقودة، وأصل كلمة العقيدة مشتقّ مِن فعل "عَقَدَ" ومصدره "عَقْدٌ"، الذي يدور معناه حول معانٍ أهمها:

أولًا: الرَّبطُ وهو نقيض الحلّ، وهو أصلها، قال ابن فارس: "عقد: العين والقاف والدال، أصل واحد يدل على شدٍّ، وشدّةِ وثوقٍ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فَرَوْعُ الْبَابِ كُلُّهَا...وعقدت الحبل أعقده عقدا"[1]، ويقول ابن منظور: "العَقْد نقيض الحَلِّ...ويقال عقدت الحبل فهو معقود"[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ (سورة الفلق: 4)، قال القرطبي أي: "السّاحرات اللائي ينفثن في عقد الخيوط"[3]، وقال الزبيدي: "عقد الحبل والبيع والعهد يعقده عقدا فانعقد: شدّه، والذي صرح به أئمة الاشتقاق: أنّ أصل العقد نقيض الحل"[4].

---

[1]) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين (ت: 395 هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، بتاريخ: 1399هـ-1979م، 4/ 86.

[2]) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين الأنصاري (ت: 711)، لسان العرب، الناشر: دار صادر –بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة: 1414 هـ، 3/ 269.

[3]) القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبد الله الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية –القاهرة، الطبعة: الثانية، عام: 1384هـ - 1964م، 7/ 24.

[4]) الزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي محبّ الدين أبي فيض، تاج العروس من جواهر القاموس، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب -الكويت، أعوام النشر: (1385- 1422 هـ) / (1965 – 2001 م)، 8/ 394.

ثانيًا: الصلابة واللزوم، وهذا الذي يهمنا في معنى العقيدة، وهو ما قاله ابن فارس: "وإليه ترجع فروع الباب كلها"، إلى أن قال: "وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه، واعتقد الشيءُ: صلب"[1]، وهو ما أكّده الزبيدي بقوله: "والذي صرّح به أئمة الاشتقاق: أن أصل العقد نقيض الحل...ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات، والعقود وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم...وعقد قلبُه على الشّيءِ: لزمه... وفي حديث: «الخيل معقود في نواصيها الخير»[2] أي لازم لها، كأنه معقود فيها...واعتقد الشيء: صلَب واشتدَّ"[3]، وبمثله قال أبو جيب: "عقد قلبُه على الشيء: لزمه...اعتقد الشيءُ: اشتدّ، وصلب"[4].

ويستخلص من هذا أنّ كلمة "عقيدة" على وزن فعيلة بمعنى مفعولة أي معقودة، وهي مشتقة من فعل "عَقَدَ"، الذي يعني شدّ وربط، ثم توسّع مفهومها إلى التّأكيد والتوثيق، ثم ازداد مفهومها توسّعًا إلى ما يملأ المرءُ به قلبه مما لا يقبل الشّكّ ثمّ يعقد عليه، فكأن المرء يملأ قلبه بيقينيات ويربط عليها بإحكام.

الفرع الثاني: تعريف العقيدة اصطلاحا:

أمّا تعريف العقيدة اصطلاحًا فإنه يشمل مفهومين:

الأول: مفهوم خاص، وهو الذي يخصُّ العقيدة الإسلامية فقط.

الثاني: مفهوم عام، وهو الذي يشمَل كل عقيدة، سواءً كانت دينية أو غيرها، وسواءً كانت صحيحة أو فاسدة، وهذا الذي نتكلّم عنه في عنواننا هذا.

لقد عَرّف العلماء العقيدةَ بمفهومها العام بتعريفات كثيرة، تدور حول محورين هما: "اليقين الجازم" و"عدم الشّكِّ لدى المعتقِد"، سواءً كانت هذه العقيدة صحيحة أو فاسدة، ومن هذه التعريفات:

01: تعريف الخن: "هي ما يَعقِد الإنسان قلبَه عليه"[5] وهو تعريف عام جدًا.

---

[1]) ابن فارس، المصدر نفسه، 4/ 86.

[2]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، رقم: 1871.

[3]) الزبيدي، المصدر السابق، 8/ 394 – 403.

[4]) أبو جيب سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الناشر: دار الفكر دمشق –سورية، الطبعة: الثانية، سنة: 1408هـ-1988م، ص: 255.

[5]) مصطفى سعيد الخن، العقيدة الإسلامية، ص: 14.

02: تعريف المعجم الوسيط: "الحكم الذي لا يقبل الشّكّ فيه لدى معتقدِه"[1]، وبمثله قال أبو جيب[2].

03: جمع مضموني التعريفين السالفين الأشقرُ، حيث قال: "العقائد هي الأمور التي تصدّق بها النفوس، وتطمئنّ إليها القلوب، وتكون يقينا عند أصحابها، لا يخالطها شكّ ولا يمازجها ريب"[3].

ومن خلال هذا فالعقيدة: كل ما يَعقِد الإنسانُ عليه قلبَه من الأحكام، التي يطمئن إليها ويصدقها، وتكون يقينا لا شك فيها ولا ريب.

وأمّا ما ذكره بعض العلماء كالجويني والغزالي رحمهما الله وغيرهما ممن جمعوا أصولَيْ الدين والفقه "أنّ الاعتقاد يقبل التغيُّر"، فلم يكن حديثهم عن العقيدة، بل عن الاعتقاد الذي هو الإدراك العقلي –تصورا أو تصديقا– الذي يدور بين اليقين والشّكّ وما بينهما، ففي "جَمْع الجوامع" –مثلا– لعبد الوهاب السّبكي وهو يتكلم عن الإدراك قال: "وَجَازِمُهُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ التَّغَيُّرَ عِلْمٌ، وَالْقَابِلُ اعْتِقَادٌ، صَحِيحٌ إنْ طَابَقَ، فَاسِدٌ إنْ لَمْ يُطَابِقْ"، قال شارحه السيناوني: "أي وجازم التصديق...الذي لا يقبل التغيُّر...فهو علم،...وإن قبله اعتقاد،...إن طابق الواقع فهو اعتقاد صحيح، وإن لم يطابقه فهو اعتقاد فاسد"[4].

وكذلك شأن الفلاسفة، فالاعتقاد في المشهور عندهم هو الحكم الذهني، يقول جميل صليبا: "الاعتقاد في المشهور هو الحكم الذهني الجازم، القابل للتشكيك...والفرق بين الاعتقاد والعلم أن العلم حكم جازم لا يقبل التشكيك كالاقتناع واليقين، في حين أن الاعتقاد يقبله، ولكن بعضهم يطلق الاعتقاد تارة على العلم، وتارة على اليقين، وتارة على التصديق مطلقا، ويجعله أعمَّ من أن يكون جازما

[1]) إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة، 2/ 614.

[2]) انظر: أبو جيب، المصدر نفسه، ص: 256.

[3]) الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي، العقيدة في الله، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة: الثالثة، سنة: 1403هـ-1983م، ص: 11.

[4]) حسن بن عمر السيناوني المالكي، الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب السبكي الشافعي (ت: 1347هـ)، الناشر: مطبعة النهضة تونس، الطبعة: الأولى، سنة: 1928م، 1/ 23.

أو غير جازم، مطابقا أو غير مطابق، ثابتا أو غير ثابت، إلّا أنّ الاعتقاد بمعنى اليقين غيرُ مشهور، وبمعنى التصديق مشهور"[1].

وعليه فالاعتقاد الذي هو الحكم الذهنيّ ليس من الضروريّ أن يكون هو العقيدة بالمفهوم الاصطلاحيّ.

وخلاصة القول، وبعيدًا عن مفهوم الاعتقاد بمعنى الإدراك العقلي عند بعض الأصوليّين، أو معنى الحكم الذهني عند بعض الفلاسفة، فإنّ العقيدة هي: **"الحكم اليقينيّ الجازم، الذي يطمئن إليه معتقِده، ولا يقبل الشّكّ لديه، صحيحًا كان أو فاسداً"**.

أمّا وجه الارتباط بين المعنى اللُّغوي والمعنى الاصطلاحي فهو أن كلمة عقيدة مِن العقد، والعقد هو ربط الشيء، فكأن المُعتقِد قد جمع أطرافَ قلبه على حكم فعقدها وأحكم وِثاقَها، أو جعل الحكم في قلبه فعقد عليه قلبه وأحكم وِثاقَه.

الفرع الثالث: تعريف العقيدة الإسلامية:

إذا كانت العقيدة بالمفهوم العام هي: " الحكم اليقيني الجازم، الذي يطمئن إليه معتقِده، ولا يقبل الشك لديه، صحيحًا كان أو فاسداً"، فإنّ العقيدة بالمفهوم الخاص هي التي تَخصُّ العقيدةَ الإسلاميةَ فقط، فهي التي يدين بها المرْءُ، قال الفيومي: "العقيدة ما يدين به الإنسانُ"[2]، وهي قسيمةُ الأحكام العمليّة في الدّين، ففي الدّين أحكام نظرية يقينيّة هي العقائد، وأحكام عمليّة هي الشرائع، يقول السفاريني: "اعلم أن الملة المحمدية تنقسم إلى اعتقاديات وعمليات، فالاعتقاديات هي التي لم تتعلق بكيفية عمل، مثل: اعتقاد وجوب وجود القادر المختار ووحدانيته..."[3].

---

[1]) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الناشر: الشركة العالمية للكتاب – بيروت، تاريخ النشر: 1994م، 1/ 106.

[2]) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، أبو العباس (ت: 770 هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، 2/ 421.

[3]) السفاريني، محمد بن أحمد شمس الدين أبو العون الحنبلي (ت: 1188هـ)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها –دمشق، الطبعة: الثانية، سنة: 1402هـ-1982م، 1/ 4.

وفي المعجم الوسيط هي: "وفي الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعثه الرسل"[1]، وبمثله قال أبو جيب[2].

كل ذلك بهدف اليقين الجازم، قال السفاريني: "وغايته أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعيّة متقناً محكماً، لا تزلزله شبهةٌ من شبه المبطلين"[3].

وعليه فالعقيدة الإسلامية هي: **"مجموعة الأحكام الإسلامية النظرية المتعلقة بالغيبيات، التي يدين المسلمُ بالإيمان بها، إيمانًا جازمًا يقينيًا لا يَشوبه شكٌّ، ولا يُخالِطه ريب"**.

هذا، وقد أصبحت كلمة "العقيدة" اسمَ عَلَمٍ على العِلم الذي يَدْرُس الجانب النظري من الدين، ممّا تعلّق بالغيبيات وما يحوط بها، وأصبح كل مَن يكتب في هذا الجانب يُطلق على ما كتبه اسم العقيدة وينسب إليه، فيقال: العقيدة الطحاوية، العقيدة النسفية...، وأصبحت كلمة العقيدة الإسلامية عنواناً على مادة دراسية أو تخصّصًا في معاهد وكليات وغيرهما.

ومصطلح العقيدة على كثرة استعماله لا وجود له في القرآن ولا في السنة، وهو الاسم الشائع عند المتأخرين، ومن المؤلفات التي حملت اسم العقيدة أو الاعتقاد: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي (ت: 418هـ)، و"عقيدة السلف أصحاب الحديث" لأبي عثمان الصابوني (ت: 449هـ)، "الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة" للبيهقي (ت: 458هـ)، و"الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد" للجويني (ت: 478)، و"الحجة في بيان المَحَجَّة وشرع عقيدة أهل السنة" للأصبهاني (ت: 535هـ)، و"اعتقاد أئمة الحديث" لأبي بكر الإسماعيلي، و"الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية" وشرحها "لوامع الأنوار البهية" للسفاريني (ت: 1118هـ) وغيرها، ثم تتابعت إلى عصرنا، مثل: "العقيدة في ضوء الكتاب والسنة" للأشقر، و"العقيدة في القرآن" لمحمد المبارك.

---

[1]) إبراهيم مصطفى، المصدر السابق، 2/ 614.

[2]) أبو جيب، المصدر السابق، ص: 256.

[3]) السفاريني، المصدر نفسه، 1/ 5.

المطلب الثاني: مضامين العقيدة الإسلامية وأسماؤها

تعرّفنا في المطلب السابق على العقيدة وعلى العقيدة الإسلامية، فما مضامينها؟ وما أسماؤها؟

الفرع الأول: مضامين العقيدة الإسلامية

من خلال ما سبق من تعريف العقيدة الإسلامية بأنها: "مجموعة الأحكام الإسلامية النظرية المتعلقة بالغيبيات، التي يدين المسلمُ بالإيمان بها، إيمانًا جازمًا يقينيًا لا يَشوبه شكٌّ، ولا يُخالِطه ريب".

فأمّا كونها أحكامًا نظريةً فقد أسلفنا الكلام أنّ الدّينَ عقيدةٌ وشريعةٌ، وأنّ العقيدة الإسلامية هي أساس الشريعة الإسلامية، وإذا استقرأنا الأوامر والنواهي نجدها تقوم على أساس الإيمان، لذا ففي الخطاب القرآني يتصدر الإيمانُ العملَ مثل: ﴿يا أيها الذين آمنوا...﴾، وكذلك في الخطاب الحديثي مثل: «من كان يؤمن بالله...»، لأنّ أعمالَ المؤمن وسلوكَه ومزاجَه مرتَّهن بحقيقية الإيمان في قلبه.

أمّا كونها متعلقة بالغيبيات، فالغيبياتُ موضوع العقيدة أصلًا، لذا يقول أبو جيب: "أمّا العقيدة الإسلامية: فهي الإيمان الجازم بكل ما ثبت بالوحي من الغيبيات وما يحوط بها"[1]، فهي على شعبتين: إيمان بالغيبيات، وإيمان بما يحوط بها.

أوّلًا: الإيمان بالغيبيات، وهو الأصل، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾ (سورة البقرة: 03)، وهذا الغيب شمل ستَ أصول، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره"، وقد وردت خمستها الأولى في قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (سورة البقرة: 177)، ووردت كلها في حديث النبي صلى الله عليه وسلم مجيبًا جبريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان: «الإيمان: أنْ تؤمنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[2]، هذه العناصر الإيمانيّة قسّمها العلماء إلى إلهيات، ونبوّت، وغيبيات.

ثانيًا: الإيمان بما يحوط بالغيبيات، وهو أحد أمرين:

---

[1]) أبو جيب، المصدر السابق، ص: 256.

[2]) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى رقم: 08.

01: ما هو معلوم من الدّين بالضرورة، ولو لم يكن من الغيبيات الستّة، وهو سائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، كأخبار الأولين والأخِرين، وأركان الإسلام وغيرها مِن قطعيات الدِّين، مما وقع تحت طائلة الإجماع، قال القاضي عياض: "وكذلك أجمع المسلمون على تكفيرِ كلِّ من استحلَّ القتل، أو شَرْبَ الخمر، أو الزِّنا، ممَّا حرّم اللَّهُ بعد علمه بتحريمه، كأَصحابِ الإباحة من القرامطة، وبعض غلَاةِ المتصَوِّفة، وكذلك نقطع بتكفير كلِّ من كذَّب وأَنْكر قاعدَةً من قواعد الشَّرعِ، وما عُرِفَ يقينًا بالنَّقلِ المتوَاتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع الإجمَاعُ المتَّصل عليه، كمن أَنْكر وجوب الصلوات الخمس، وعدد ركعاتها وسجداتها ويقولُ: إِنَّمَا أوجب اللَّهُ علينا في كتابه الصَّلَاةَ على الجملة وكونها خمسًا"[1]، فهذه الأمور ثابتة بالقطعيات من الكتاب والسنّة المتواترة والمجمع عليها، فهي من المعلوم من الدّين بالضرورة.

02/ ما هو من مسمّيات الدّين، مثل: مسلم، ومنافق، ومؤمن، وكافر، ومرتكب الكبيرة، وما يتعلّق بها من تقرير معانيها، والعَلاقاتُ أو الفروق بينها، والأحكامُ المتعلقة بها في الدنيا والآخرة، والحُكم على الإطلاق أو التعيين، وأحوال الجهل والخطأ والتأويل والإكراه، وتسمّى مسائلُ الأسماءِ والأحكامِ[2]، وقد وقع فيها خلاف كبير، باكرًا في هذه الأمة، أدّى إلى انحرافات وضلالات كثيرة، يقول ابن رجب: "وهذه المسائل -أعني مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنّفاق- مسائل عظيمةٌ جدًّا، فإنَّ اللَّهَ علَّق بهذه الأسماء السَّعادة والشَّقاوة، واستحقاق الجنَّة والنَّار، والاختلافُ في مسمَّياتها أوَّل اختلاف وقع في هذه الأُمَّة، وهو خلاف الخوارج للصَّحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحِّدينَ من الإسلام بالكلِّيَّة، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملةَ الكفَّارِ، واستحلُّوا بذلك دماء المسلمين وأمْوالَهم، ثمَّ حدث بعدهم خلافُ المعتزلة وقولهم بالمنزلةِ بينَ المنزلتين، ثُمَّ حدث خلافُ المرجِئَةِ، وقولُهُمْ: إنَّ الفاسق مؤمنٌ كامل الإيمانِ"[3].

فهذه هي مضامين العقيدة الإسلاميّة، وإن اختلفت أسماؤها التي نتعرّف عليها في العنوان القابل.

---

[1]) انظر: عياض، بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي، أبو الفضل (ت 544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الناشر: دار الفيحاء – عمان، الطبعة: الثانية، عام: 1407هـ، 2/ 611-612.

[2]) أفرد لها الشيخ عبد الله بن أحمد الكَعْبِيّ البَلْخِيّ مؤلفا بعنوان: "الأسماء والأحكام".

[3]) ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن شهاب الدين أبو الفرج زين الدين البغدادي ثم الدمشقي (736 - 795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة: السابعة، عام: 1417هـ-1997م، 1/ 114.

الفرع الثاني: أسماء العقيدة الإسلامية

وللعقيدة الإسلاميّة أسماء أخرى ترادفها، منها اللفظ المستعمل في القرآن والسنّة وهو "الإيمان"، وهو الذي نستهلّ به، ومنها التوحيد وهو الشائع، والذي نثنّي به، ثمّ مصطلحاتٌ أخرى نعرضها مختصرة.

أولًا: الإيمان

الإيمان لغة: التصديق، قال ابن فارس: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما للأمانة...والآخر: التصديق...وأمّا التصديق فمنه قوله تعالى: ﴿ومَا أَنتَ بِمُؤمِنٍ، لَّنَا﴾ (سورة يوسف: 17): أي مصدق لنا"[1]، وبعنوان "الإيمان" ألّف كثير من العلماء[2] منهم: أبو عُبيد القاسم بن سلّام (ت: 224هـ)، وأبوبكر بن أبي شيبة (ت: 235هـ)، أبو عبد الله محمد بن يحيى العَدَنيّ (ت: 243هـ) رحمهم الله.

ثانيًا: التوحيد

التوحيد لغة: الإفراد، قال ابن فارس: "وحد: الواو والحاء والدال، أصل واحد يدل على الانفراد"[3]، وقال ابن منظور: "قال ابن سِيْده: والله الأوحد المتوحد وذو الوَحدانية، ومن صفاته: الواحد الأحد، والفرق بينهما كما قال الأزهري وغيره: أن "الأحد" بُني لنفي ما يذكر معه من العدد، و"الواحد" اسم بُني لمفتتح العدد، ولا يوصف شيء بالأحدية غير الله تعالى"[4]، ومعنى وحَّدته: أفردته عما يشابهه في ذاته وصفاته، وقد سُميت العقيدة باسم التوحيد، لأنّه أشرف أجزائه، والمباحث الأُخرى مستندة إليه[5]، وقد ألَّف بعنوان: "التوحيد" كثير منهم: أبوبكر بن محمد بن خزيمة (ت 311هـ)، وأبو منصور محمد الماتريدي (ت 333هـ)، وأبو عبد الله محمد بن مندة (ت 395 هـ) رحمهم الله.

---

[1]) ابن فارس، المصدر السابق، 1/ 133 – 135.

[2]) انظر: ضميرية، عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الثانية، سنة: 1417هـ-1996م، ص: 87.

[3]) ابن فارس، المصدر نفسه، 6/ 90

[4]) ابن منظور، المصدر السابق، 3/ 448.

[5]) انظر: صوفي، عبد القادر بن محمد عطا، المفيد في مهمات التوحيد، الناشر: دار الاعلام، سنة: 1423هـ، ص: 12.

ثالثًا: الفقه الأكبر

الفقه لغة: العلم بالشيء والفهم له، قاله ابن منظور[1]، وقال ابن فارس: "إدراك الشيء والعلم به"[2]، واصطلاحا أطلق في البداية على الكتاب والسنّة، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «نضَّر الله امرأً سمِع مقالَتي فوعاها وحفِظها وبلَّغها فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه...» [3]، ثمّ خَصَّصه المتأخرون بمعرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية[4]، وأول من استخدم مصطلح "الفقه الأكبر" هو أبو حنيفة النعمان رحمه الله (ت 150هـ)، وهو متن صغير حدّد فيه عقائد أهل السنة، وردَّ على أهل البدع [5].

رابعًا: السنة

السُّنَّة لغة: الطريقة والسيرة حسنةً كانت أو قبيحة، قال ابن فارس: "السين والنون: أصل واحد مطَّرِد، وهو جريان الشيء واطِّراده في سهولة...ومما اشتق منه السنّة، وهي السّيرة"[6]، والسنّة اصطلاحا كما قال ابن رجب: "السنّة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسّك بما كان عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون، من الاعتقادات والأعمال والأقوال"[7]، وقال في كتاب آخر مخصِّصها بالعقيدة: "ثم صار في عرف كثير من العلماء المتأخّرين من أهل الحديث وغيرهم: السنّة عبارة عمَّا سَلِمَ من الشّبهات في الاعتقادات"[8]، وسمّيت العقيدة بالسنّة لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم سنّها، فتبعه

---

[1]) ابن منظور، المصدر السابق، 13/ 522.

[2]) ابن فارس، المصدر السابق، 4/ 242.

[3]) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المدنيين، حديث جبير بن مطعم، رقم: 16738، والترمذي في سننه، أبواب: العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم: 2658.

[4]) انظر: ضميرية، المصدر السابق، ص: 76.

[5]) شكّك البعض كأبي زهرة صحَّة نسبة هذه الرسالة لأبي حنيفة رحمه الله "أبو حنيفة آراؤه وفقهه"، لأنّ راويها أبو مطيع البلخي، وهو مَتروك الحديث كما عند الحافظ الخطيب البغدادي، إلّا أنها عُزِّزت برواية أخرى عن حماد بن أبي سليمان، وإن كان ضَعيفا.

[6]) ابن فارس، المصدر السابق، 3/ 60–61.

[7]) ابن رجب الحنبلي، المصدر السابق، 2/ 120.

[8]) ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن شهاب الدّين زين الدّين أبو الفرج البغدادي ثم الدمشقي (736 - 795 هـ)، كشف الكربة في وصف أهل الغربة، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية، سنة: 1424هـ - 2003م، ص: 320.

أصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، ولتمْيِيزها عمّا أحدثه أهل البدع[1]، وممّن ألّف في العقيدة بعنوان "السنّة": أحمد بن حنبل (ت: 240هـ)، وأبو بكر بن أبي عاصم (ت: 287هـ)، وأبو عبد الله محمد المروَزي (ت: 294هـ) رحمهم الله.

خامسًا: أصول الدّين

هو مركب إضافيٌّ من كلمة "أصول" جمع أصل، وهو في اللغة: ما يُبنى عليه غيره، واصطلاحا هو: ما له فرع، ومن كلمة "الدّين" وهو لغة: الذل والخضوع، وشرعا: هو امتثال المأمور واجتناب المحظور، فيكون المعنى المركب لِـ "أصول الدين" هو المبادئ العامة التي يقوم عليها الدِّين، وتُعتبَر أصلاً له، فبها تتحقق طاعة الله ورسولِه صلى الله عليه وسلم، والاستسلام لأمر الشارع ونهيه، وهذا المعنى لا يُراد به إلّا علم العقيدة، وقد ألّف بعض العلماء في الاعتقاد ما يحمل اسم أصول الدّين مثل: "الإبانة عن أصول الدّيانة" لأبي الحسن الأشعري (ت: 324هـ)، و"الشرح والإبانة عن أصول الدّيانة" لابن بطّة العكبري (ت: 378هـ)، و"أصول الدّين" لأبي منصور عبد القادر البغدادي (ت: 429هـ) رحمهم الله[2].

سادسًا: الشريعة

الشريعة لغة: مورد الماء، قال ابن فارس: "شرع: الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يُفْتح في امتداد يكون فيه، من ذلك الشريعة، وهي مورد الشارِبةِ الماءَ، واشتُقَّ من ذلك الشِّرعةُ في الدّين والشّريعة"[3]، والشّريعة بالمعنى العام هي ما شرَع الله تعالى لعباده مِن الأحكام سواءً كانت اعتقاديّة أو عمليّة، وممّا أُلِّف في العقيدة[4] باسم الشريعة: "الشريعة" لأبي بكر محمد الآجري (ت: 360 هـ)، و"الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لأبي عبد الله بن بطة الحنبلي (ت: 387 هـ) رحمهم الله.

---

[1]) انظر: ضميرية، المصدر نفسه، ص: 93–96.

[2]) انظر: ضميرية، المصدر السابق المصدر السابق، ص: 76، والقِنَّوجي، محمد صديق خان بن حسن أبو الطيب (ت 1307هـ)، أبجد العلوم، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، 1423هـ- 2002م، ص: 67.

[3]) ابن فارس، المصدر السابق، 262/3.

[4]) انظر: ضميرية، نفس المصدر، ص: 116.

سابعًا: علم الكلام

هو علم غرضه الدفاع عن العقائد الإسلامية، عرّفه الإيجي بقوله: "علم يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"، وقال ابن خلدون: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية"[1]، وسمي بعلم الكلام لأسباب منها: مسألة كلام الله تعالى وخلق القرآن التي أفاضت نِزاعا كبيرا، وقيل لأنهم كانوا يصدِّرون أبحاثهم بـ: "الكلام في كذا وكذا هو... كذا وكذا"، وقيل لكثرة الكلام والمجادلة، ومما أُلّف في العقيدة باسم علم الكلام: "غاية المرام في علم الكلام" لسيف الدّين الآمدي (ت: 631هـ)، و"شرح المقاصد في علم الكلام" لسعد الدّين مسعود التفتازاني (ت:791هـ).

[1]) انظر: القِنَّوجي، نفس المصدر، ص: 480.

المبحث الثاني: التشكيك في العقيدة الإسلامية

إن الحديث عن التشكيك في العقيدة الإسلامية يُفهم منه أن العقيدة الإسلامية مبناها على اليقين، وأن ثمة محاولات لإزاحة هذا اليقين بالتشكيكات الباطلة، فهل صحيح أن العقيدة الإسلامية مبناها على اليقين؟

المطلب الأول: صلة العقيدة الإسلامية باليقين

لأجل الكلام عن صلة العقيدة الإسلامية باليقين، لزم الكلام عن اليقين أصلًا، ثمّ إبراز صلة العقيدة الإسلامية باليقين، فما هو اليقين؟ وما مفهومه؟

الفرع الأول: مفهوم اليقين

أولًا: اليقين لغة

يطلق اليقين في اللغة ويُراد منه أمران متداخلان هما:

01: إزالة الشكّ وإزاحته، قال ابن فارس: "يَقَنَ: الياء والقاف والنُّون، اليقَنُ واليقين، زوال الشَّكِّ"[1]، وقال الزبيدي: "واليقين: إزاحة الشَّكِّ"[2]، وبشبيه منهما قال ابن منظور: "اليَقِينُ: العلم وإِزاحة الشَّكِّ وتحقيقُ الأَمر...واليقين: نَقيض الشَّكِّ...وفي التّنزيل العزيز: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (سورة الحاقة: 51)، أضاف الحقَّ إلى اليقين، وليس هو من إضافة الشّيء إلى نفسه، لأنّ الحقَّ هو غير اليقين، إنَّما هو خالصه وأصحّه، فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكلِّ"[3].

02: استقرار الشيء وثباته، لأنّ اليقين مشتقٌّ من فعل يَقَنَ، قال الكفوي: "ويقن الماء في الحوض، إذا اسْتَقرّ ودام"[4]، ويُنسب هذا الاستقرار إلى النَّفس، كقول الرَّاغِب: "وَهُوَ سُكُون النَّفس مَعَ إِثْبَات

---

[1]) ابن فارس، المصدر السابق، 6/ 157.

[2]) الزبيدي، المصدر السابق، 36/ 300.

[3]) ابن منظور، المصدر السابق، 13/ 457.

[4]) الكفوي، أيوب ابن موسى الحسيني القريمي أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، د.ت، ص: 980.

الحكم"[1]، كما يُنسب هذا الاستقرار إلى العلم، قال الكفوي: "وَقيل: عبارَة عَن الْعلم المستقر فِي الْقلب، لثبوته من سبب مُتَعَيّن لَهُ، بحيث لا يقبل الانهدام"[2]، ولأنّ استقرار العلم بالشيء يزيل الشكّ عنه، وإزالة الشكّ يثبّت العلم ويقرُّه، فهذا أو ذاك يفضي إلى اليقين، وإلى سكون النفس واطمئنانها.

ولقد ورد في القرآن الكريم اليقينُ ومشتقاتها في مواضع كثيرة، تفيد استقرار العلم بالشيء وزوال الشّكّ عنه، ولعدم الإطالة فإنني اختار منها آيتين فقط هما:

01: قال الله تعالى: ﴿وَكَذلكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالَارْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (سورة الأنعام: 75)، فالآية تبيّن أنّ إراءة الملكوت سببٌ لليقين، وفعل "يكون" بالمضارع يدلّ على الاستمرار، قال القرطبي "أيْ وليكون من الموقنين أريناه ذلك -أي الملكوت-"[3].

02: قال الله تعالى: ﴿واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَاتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (سورة الحجر: 99)، قال القرطبي: "وهو أنَّ اليقين الموت"[4]، وتسمية الموت باليقين كونه حقيقةً يقينيّةً لا ينكرها أيُّ إنسان أبدًا، قال الزبيدي: "واليقين: الموتُ، لأنّه تيقّنٌ لِحاقَه لكلِّ مخلوقٍ حيٍّ"[5].

ثانيًا: اليقين اصطلاحا

بعدَ أنّ تعرّفنا على اليقين لغة، وأنّه جَمَعَ بين "استقرار العلم بالشيء" و"إزاحة الشكّ عنه"، فإنّ التعريف الاصطلاحي يحوم حول هذا الحمى، فهو:

01: العلم القاضي على الشّكِّ، فقد عرّف الجرجاني اليقين بقوله: "العلم الذي لا شك معه"، وقال كذلك: "وقيل: اليقين: نقيض الشك"[6].

---

[1]) انظر: الكفوي، المصدر نفسه، ص: 980.

[2]) الكفوي، المصدر نفسه، ص: 979.

[3]) القرطبي، المصدر السابق، 7/ 24.

[4]) القرطبي، المصدر نفسه، 10/ 64

[5]) الزبيدي، المصدر السابق، 36/ 301.

[6]) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى، سنة: 1403هـ-1983م، ص: 259.

وقال الفيّوميّ هو: "العلم الحاصل عن نظر واستدلال"[1]، قال ابن عاشور: "واليقين: المعلوم جزمًا الذي لا يقبل التَّشكيك"[2]، وفي موضع آخر يقول عن اليقين: "واليقين: المقطوع به الذي لا شكّ فيه"[3]، وعن صاحب اليقين يقول: "والموقن هو العالم علما لا يقبل الشّكّ، وهو الإيقان"[4].

02: الطُمأنينة، وذلك أنّه إذا حلّ العلمُ حلّت الطُمأنينةُ، وهي حقيقة اليقين، قال الجرجاني: "هو طُمأنينة القَلْب على حقيقة الشيءِ، وتحقيق التصديق بالغَيْب بإزالة كلِّ شكٍّ ورَيْب"[5].

03: الِاعْتِقَاد الْجَازِم، لِما حصل له من علم أَورثَ طُمأنينةً، قال الكفوي: "اليَقِين: الاعتقاد الجازم الثّابت المطابق للواقع"[6]، وقال الجرجاني: "اعتقاد الشيْء بأنّه كذا مع اعتقاد أنّه لا يمكن إلا كذا، مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال"[7]، وهو الذي استخلصه الزبيدي[8].

ومن خلال ما سبق عرضه لمفهوم اليقين اللُغوي والاصطلاحي يظهر أثر التعريف اللُّغوي في المفهوم الاصطلاحي، ولذلك فاليقين اصطلاحًا هو حالة ثبات واستقرار بالعلم الذي لا يقبل الشّك، ليحقّق طُمأنينة، فيتأسسَ الاعتقاد الجازم.

ولقد ورد اليقين في القرآن على ثلاث مراتب: علمِ اليقين، وعينِ اليقين، وحقِ اليقين، قال ابن عاشور: "واعلم أن حق اليقين، وعين اليقين، وعلم اليقين، وقعت في القرآن، فحق اليقين وقع في هذه السورة –أيْ الحاقّة– وفي آخر سورة الواقعة، وعلم اليقين وعين اليقين وقعا في سورة التكاثر"[9]، والذي يعنينا في بحثنا هذا هو "علم اليقين" فقط.

---

[1]) الفيّوميّ، المصدر السابق، 2/ 681.

[2]) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الناشر: الدار التونسية للنشر –تونس، سنة: 1684هـ، 27/ 350.

[3]) ابن عاشور، المصدر نفسه، 14/ 92.

[4]) ابن عاشور، المصدر نفسه، 7/ 316.

[5]) الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 259.

[6]) الكفوي، المصدر السابق، ص: 979.

[7]) الجرجاني، المصدر السابق، ص: 259.

[8]) انظر: الزبيدي، المصدر السابق، 36/ 300.

[9]) ابن عاشور، المصدر السابق، 29/ 150.

الفرع الثاني: صلة العقيدة الإسلامية باليقين

إنّ العقيدة الإسلامية هي الأساس الذي يُبنى عليه الدّين، فهي أصوله وثوابته، لذا فإنّ أحكامها مسلَّمات وقطعيات، ومسائلها لا تقبل إلّا اليقين الجازم الذي لا يتطرق إليه شكّ، قال النووي: "اتّفق أهل السنّة من المحدّثين والفقهاء والمتكلّمين على أنّ المؤمن الذي يُحكم بأنّه من أهل القبلة، ولا يخلّد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك، ونطق بالشهادتين"[1].
بالشهادتين"[1].

وفي القرآن ربط بين الإيمان واليقين في مواضع كثيرة، أذكر منها آيتين مع بعض التفاسير، وهما:

01: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (سورة البقرة: 04)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (سورة لقمان: 04)، قال القرطبي: "واليقين: العلم دون الشَّكِّ"[2]، وقال الصابوني: "﴿وبالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: ويعتقدون اعتقاداً جازماً لا يلابسه شك أو ارتياب بالدار الآخرة التي تتلو الدنيا، بما فيها من بعثٍ وجزاءٍ وجنةٍ ونار وحساب وميزان"[3].

02: وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات: 15)، قال القرطبي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾، أَيْ: صدَّقوا ولم يشكُّوا"[4]، ويقول ابن عاشور: "أيْ ليس المؤمنون إلّا الذين آمنوا ولم يخالط إيمانهم ارتِيَابٌ أو تَشَكُّكٌ، و ﴿إِنَّمَا﴾ للحصر، و "إِنَّ" التي هي جزء منها مفيدة أيضا للتعليل وقائمة مقام فاء التفريع، أي إنما لم تكونوا مؤمنين لأن الإيمان ينافيه الارتياب...و ﴿ثُمَّ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ للتراخي الرُّتَبِي كشأنها في عطف الجمل، فَفِي ﴿ثُمَّ﴾ إشارة إلى أن انتفاء الارتياب في إيمانهم أهم رتبة من الإيمان إذ به

---

[1]) النووي، يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين (ت: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الثانية، عام: 1392هـ، 1/ 149.

[2]) القرطبي، المصدر السابق، 1/ 180.

[3]) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة، الطبعة: الأولى، عام: 1417هـ-1997م، 1/ 26.

[4]) القرطبي، المصدر السابق، 16/ 349.

قوام الإيمان"[1]، وقال الصابوني: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ أي ثم لم يشكوا ويتزلزلوا في إيمانهم، بل ثبتوا على التصديق واليقين"[2].

ومن تمام الإيمان في القرآن نفيُ الشكِّ والريبِ عن كثير من الغيبيات، كما في قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة إبراهيم: 10)، وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة: 02)، وقوله سبحانه: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (سورة النساء: 87)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة غافر: 59)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (سورة التوبة: 45)...

بل حتى الظنُّ، يَرِد أغلبه في القرآن بمعنى اليقين، كقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾ (سورة البقرة: 46)، قال القرطبي: " والظن هنا في قول الجمهور بمعنى اليقين"[3]، وفي مواضع كثيرة ورد بمعنى اليقين.

وفي الحديث كذلك رَبْطٌ بين الإيمان واليقين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّي رسول الله، لا يَلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيهما، إلا دخل الجنة»[4]، وقال له صلى الله عليه وسلم: «فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلّا الله مستيقنًا بها قلبه فبشّره بالجنة»[5].

وكيف لا تكون العقيدة الإسلاميّة يقينية وهي: ربانيّةُ المصدر، فطريّةُ الأصل، متوافقةٌ مع النواميس والسّنن الكونية، لم تخالف العلم، وهي ثابتة لا نسخ ولا تبديل لحقائقها، يقول ضميريّة: "وصحّة العقيدة الإسلاميّة بصحة صلتها بالوحي وبالفَهم السليم والمنهج القويم، وهي أصول الدِّين التي يقوم عليها الدِّين الإسلاميّ، وهي مُسلَّمات وقطعيات وثوابت لا تقبل الجدال ولا المناقَشة، لأنَّها فطرةُ الله

---

[1]) ابن عاشور، المصدر السابق، 26/ 267.

[2]) الصابوني، المصدر نفسه، 3/ 220.

[3]) القرطبي، المصدر نفسه، 1/ 375.

[4]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، رقم: 27.

[5]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، رقم: 31.

التي فطر الناس عليها، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الروم: 30)، ولأنَّها من جانب آخر متناسقةٌ مع سنن الله في الكون والحياة والنفس الإنسانية، تَعرض قضايا الوجود، وحقائق الحياة والموت والبعث والنشور والجزاء والحساب، والجَنَّة والنار، والصراط، وغير ذلك من مشمولات عالم الغيب وعالم الشهادة"[1].

المطلب الثاني: التشكيك في العقيدة الإسلامية

بعد أن بيّنّا أنّ العقيدة الإسلامية مبناها على اليقين، نتكلّم عن التشكيكات لزعزعة هذا اليقين، وقبل الخوض في هذا الموضوع لا بدّ من بيان مفهوم التشكيك لغة واصطلاحًا.

الفرع الأول: مفهوم التشكيك

أولًا: التشكيك لغة:

التشكيك على وزن تفعيل وهو مصدر لفعل شكَّكَ، وهذا مشتق من فعل شَكَّ، ويرد في اللغة على عدة معانٍ منها:

01: التداخل: قال ابن فارس: "الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض، وهو يدل على التداخل، من ذلك قولهم: شكَكْته بالرمح، وذلك إذا طعنته فداخل السنان جسمه"[2]، وكذلك قال ابن منظور: "وشَكَّه بالرمح والسهم ونحوهما يشُكُّه شَكّاً"[3].

02: عدم اليقين: قال ابن فارس: "الشك الذي هو خلافُ اليقين، وإنما سُمِّي بذلك لأن الشاكَّ كأنه شُكَّ له الأمران في مَشَكٍّ واحد، وهو لا يتيقَّن واحدًا منهما، فمِن ذلك اشتقاق الشَّكِّ"[4]، وبه قال ابن منظور: "الشَّكُّ: نقيض اليقين"[5].

---

[1]) ضميريّة، المصدر السابق، ص: 88.

[2]) ابن فارس، المصدر السابق، 73/3.

[3]) ابن منظور، المصدر السابق، 10/ 452.

[4]) ابن فارس، المصدر نفسه، 73/3.

[5]) ابن منظور، المصدر نفسه، 10/ 451.

فالتداخل وعدم اليقين متكاملان، فلولا التداخل ما انعدم اليقين، ولا يكون عدم اليقين إلّا عند التداخل.

أمّا التشكيك الذي فِعله شكَّكَ، فقد أورده ابن منظور في قوله: "وشَكَّكَه فيه غيرُه"[1]، أي أن طرفًا آخر قد أحدث فيه هذه الشكَّ، فهو يُشكِّكُه تشكيكًا.

ثانيًا: التّشكيك اصطلاحا

أمّا الشكّ اصطلاحا فهو غير بعيد عن المعنيْين اللغويين "التداخل" و"عدم اليقين"، فتداخل حكمينِ على الأقل يؤول إلى عدم اليقين، فيتساويا دون مرجِّح، فيقع التردد بينهما، وهو المعنى الاصطلاحي، قال الجرجاني: "هو التّردّد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشّاك، وقيل: الشّك ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشّيئيْن لا يميل القلب إلى أحدهما"[2]، وبمثله قال التهانوي: "هو تجويز أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر، وقيل اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما...والشّك كما يطلق على ما لا يترجّح أحد طرفيه على الآخر، كذلك يطلق على مطلق التردّد، كقوله تعالى: ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ (سورة النساء: 157، وسورة هود: 110، وسورة فصلت: 45)"[3].

ومن هذه التعريفات فالشكّ يتجسّد في تساوي الطرفين والتردد بينهما، وهذا يحول دون اليقين، فيقع التخبّط، لذا قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (سورة النمل: 66)، وبلفظ الرّيب قال تعالى: ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (سورة التوبة: 66)

أمّا الشّكّ فلسفيًا فله أضراب، يهمّنا منها اثنان هما:

---

[1]) ابن منظور، المصدر نفسه، 10/ 451.

[2]) الجرجاني، المصدر السابق، ص: 128.

[3]) التهانوي، محمد بن علي بن محمد حامد الحنفي (ت: 1158هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون –بيروت، الطبعة: الأولى، عام: 1996م، 1/ 1037-1038.

01: الشك المذهبي: هو الشّكّ من أجل الشّكّ، وسعياً وراء هدم أي حقيقة ولو كانت من أشدّ المُسلَّمات جلاءً، وهو مذهب السوفسطائيين أو الشكّاكين، ويُسمَّون في الفلسفة الإسلاميّة "اللّاأدريّة، أو اللّاأدريّين"[1].

02: الشك المنهجي: هو شكّ مؤقّت، هدفه التوصّل إلى حقائق يقينيّة، ويُسمّى الشّكَّ الديكارتي، بل قبل ذلك كان عند أبي حامد الغزالي، بل كان منتشراً في المعتزلة وجعلوه واجباً، قال الجبّائي: "أول الواجبات هو الشّكّ لتوقُّف القصد إلى النّظر عليه"[2]، وهذا النوع من الشّكّ مقبول فيما هو خاضع لعالَم الشهادة، أمّا الغيبياتُ الصادرة عن وحيٍ قطعيّ الثبوت فالشّك فيها مرفوض، ولو كان منهجيًا[3].

وبعيدًا عن الشّكّ فلسفيًا، فإنّ التشكيك مصدر لفعل شكَّكَ، وهو أن يُحدِث طرفٌ الشّكَّ في طرف آخر، كأن نقول في الشّكّ: شكَّ زيدٌ، ثم نقول في التشكيك: شكَّكَ عمرو زيدًا.

ثالثًا: الفرق بين الشّكّ والوسواس

01: الوَسْوَسَةُ لغة: للوَسْوَسَة في لغة العرب معانٍ كثيرةٌ منها:

أ: الصوت الخفيّ، قال ابن فارس: "وَسَّ: الواو والسين: كلمة تدل على صوت غير رَفِيعٍ"[4].

ب: حَدِيثُ النَّفْسِ، قال ابن منظور: "والوِسْوَاس: حَدِيثُ النَّفْسِ...والوِسْواس بِالْكَسْرِ الْمَصْدَرُ، والوَسْواس بِالْفَتْحِ هُوَ الشَّيْطَانُ"[5].

---

[1] انظر: محمد عبد الرحمن مرحبا، الموسوعة الفلسفية الشاملة، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، الناشر: عويدات للنشر والطباعة – بيروت، عام: 2007، 412/1.

[2] انظر: التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدّين (ت: 793هـ)، شرح المقاصد في علم الكلام، الناشر: دار المعارف النعمانية –باكستان، الطبعة: الأولى، عام: 1401هـ-1981م، 1/ 48، وانظر: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، ص: 59.

[3] محمود زيدان، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، الناشر: دار النهضة العربية –بيروت، الطبعة: الأولى، عام: 1989م، ص: 28–29.

[4] ابن فارس، المصدر السابق، 6/ 76.

[5] ابن منظور، المصدر السابق، 6/ 254-255.

02: الوَسْوَسَةُ اصطلاحاً: هي الخَطرةُ الرّديئة، قال الأصفهاني: "الوَسْوَسَةُ: الخطرةُ الرّديئة...قال الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ﴾ (سورة طه: 120)"[1].

03: الفرق بين الشك والوسواس

إنّ كلًّا من الوسوسة والشّكّ تؤدي بالإنسان إلى حالةٍ من الحيرة، بحيث تصبح الرؤية غير واضحة، فينتاب المرءَ التردُّد، إلّا أنهما يفترقان في أنّ الشك يناقض اليقين، ولا يجتمع شكّ ويقين، هو تردد ملازم ومتساوي الأطراف دون رُجحان، أمّا الوسوسة فهي خواطر تنتاب الغافلين، ولعلّها تزول، وهو ما وقع لأبوينا آدم وحوّى ثمّ تابا.

وقد لا تكون وسوسةُ الشيطان إلّا دِلالةَ عجزه عن الإغواء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء ناسٌ من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان»[2]، وفي رواية ابن عباس، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة»[3]، قال النووي: "فإن استعظام هذا وشدّة الخوف منه، ومن النطق به، فضلا عن اعتقاده إنّما يكون لِمَن استكمل الإيمان استكمالًا مُحقّقًا وانتفت عنه الرّيبةُ والشّكوك"[4].

وقد يأتي الشّكّ بمعنى الوسواس، ويتّضح ذلك من السياق، كما في قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «نحن أحقّ بالشّكّ من إبراهيم»[5]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هذا لِما يعرض في الصدور ويوسوس به الشيطان، فرضي الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال: ﴿بلى﴾"[6]، فالمراد بالشّكّ هنا

---

[1]) الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد أبو القاسم (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية –دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، عام: 1412هـ، ص: 869.

[2]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم: 132.

[3]) أخرجه أبوداود في سننه، أبواب: النوم، باب: في رد الوسوسة، رقم: 5112.

[4]) النووي، المصدر السابق، 2/ 154.

[5]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: قوله عز وجل: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ (سورة الحجر: 51)، الرقم: 3192).

[6]) انظر: بن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة –بيروت، عام: عام: 1379هـ، 6/ 411.

الخواطر التي لا تثبت، وأمّا الشّكّ المصطلحيّ فهو منفي عن الخليل قطعاً، لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان في قلبه، فكيف بمن بلغ مرتبة النبوة.

الفرع الثاني: التشكيك في العقيدة الإسلامية

بعد أن تكلّمنا عن مفهوم التشكيك، نخوض الآن غمار الحديث عن التشكيك في العقيدة الإسلامية، وقبل ذلك نتساءل، هل التشكيك وليد العصر؟ أم أنّ له سالفًا يعود إليه؟ وبه نستهلُّ.

أولًا: جذور التشكيك في العقيدة

إنّ الشّكّ في العقيدة مُرتهَن بالصراع بين الحقّ والباطل، وهو صراع القديم بين الشّيطان والإنسان، منذ أن خلق الله تعالى أبانا آدم عليه السّلام، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلمّا خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه السّلام، أمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا إلّا إبليسَ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (سورة الإسراء: 61)، ومن هنا بدأ مكر إبليس ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الإسراء: 62)، ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة الحجر: 39)، وبدأ الصراع، فكان أوّلُ كيده مع آدمَ وزوجِه، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (سورة الأعراف: 20)، زاعما النصيحة ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ (سورة الأعراف: 22)، فجاء القرار الحاسم من الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (سورة البقرة: 36)، ثمّ توالى صراعُ إبليسَ وأعوانِه من الإنس ضدّ الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (سورة الأنعام: 112)، ومع بزوغِ فجرِ الإسلام، وحين قال جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿اقرأ﴾ (سورة العلق: 1)، قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم: "ليتني أكون حيا إذ يخرجُك قومُك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟»، قال: نعم، لم يأتِ رجل قطُّ بمثل ما جئت به إلّا عودي، وإن يدركني يومَك أنصرْك نصرا مؤزرًا"[1]، وفي هذه المرّة يتشعّب الإنسان المعادي إلى مشرك ويهوديّ، يقول الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (سورة المائدة: 82)، فعن

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: 03.

المشركين قال الله عز وجل: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (سورة النساء: 89)، وعن أهل الكتاب قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ (سورة البقرة: 109)، فقد سعوا جاهدين بألسنتهم بالتشكيكات والشبهات، فقال عنهم الله تعالى: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (سورة التوبة: 32)، ويستمرّ الصراع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلّم، وفي هذه المرحلة يبدأ الصراعَ اليهودُ والمجوسُ المندسّون بالباطنية، وذلك بعدما انتشر الإسلام وانتصر المسلمون، أمّا الباطنية فقد جعلوا الدّين ظاهرًا وباطنًا، والتكليف بالباطن لا بالظاهر ليسقطوا الأحكام الظاهرة فيسقطَ الدّين، زاعمين في كل ذلك التورّع والتقوى[1]، وأما اليهود فلم تزل دسائسهم وأحقادهم حتى أسّسوا الماسونية[2]، ثم انضّم إلى حلبة الصّراع النصارى بالحروب الصليبية، ثمّ الغزوِ الفكريّ للشرق الإسلامي[3]، فقام المستشرقون من اليهود والنصارى بحملات التشكيك في الدّين وفي العقيدة الإسلامية خاصة، ومن نتائجها العلمانيّة والقوميّة...

ثانيًا: عاقبة هذا الصراع

شاء الله تعالى أن يجعل الصراعَ بين الحقّ والباطل صراعًا بين أهلَيْهما، وهو القادر أن يمحق الباطل، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ (سورة محمد: 4)، وشاء الله تعالى أن يجعل للحقّ أهلًا، يقول عز من قائل: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (سورة الأعراف: 181)، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمّتي منصورين لا يضرهم من

---

[1]) انظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (ت: 548هـ)، الملل والنحل، الناشر: مؤسسة الحلبي، 1/ 192-195، وانظر: الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد الطوسي (ت: 505هـ)، فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الناشر: مؤسسة دار الكتب الثقافية –الكويت، ص: 11-15.

[2]) انظر: محمد علي الزعبي، الماسونية في العراء، الناشر: معتوق إخوان، عام: 1393–1972، ص: 12، 25، وانظر: أنور الجندي، المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية في غزو الفكر الإسلامي، الناشر: دار الاعتصام، الطبعة: الثانية، عام: 1397هـ-1977م، ص: 52–78.

[3]) انظر: جريشة، علي محمد، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، عام: 1399هـ-1979م، هامش ص: 34 – 35.

خذلهم حتّى تقوم الساعة» [1] ، كما شاء أن تكون النتيجة محسومةً للحقّ، فقال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (سورة الأنبياء: 18)، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (سورة الصف: 8-9)، وجعل العاقبة المتقين: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة الأعراف: 128).

ثالثًا: العقيدة الإسلامية لُبُّ هذا الصراع:

إنّ الصّراعَ بين الحقّ والباطل صراعٌ ضدّ الحقّ عامّة، وصراعٌ ضدّ لبُّه وهو العقيدةُ، كما قال الله سبحانه: ﴿أَلم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (سورة العنكبوت: 01)، فكونهم يقولون "آمنا" هو سبب هذا الابتلاء، ولفظة "آمنا" أساس العقيدة، وممّا لا شكّ فيه أن عداوةَ اليهود والنصارى للمؤمنين هي عداوةُ عقيدةٍ، فلا يُتصور منهم إلّا حربُ أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة المائدة: 59)، وهي قبلهم عداوةُ كل طاغية لأهل الإيمان، قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سورة الأخدود: 08).

ومن أمثلة صدّ اليهود عن عقيدة التوحيد –تشكيكًا في الإسلام– حِيلةُ ادّعائهم الإيمانَ نِفاقًا، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة آل عمران: 72)، قال القرطبي: أَظْهِروا الإيمانَ بمحمد في أول النهار، ثم اكفروا به آخره، فإنكم إذا فعلتم ذلك ظَهرَ لمن يتَّبعه ارتيابٌ في دينه، فيرجعون عن دينه إلى دينكم"[2]، وقال الصابوني: "لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"، أي لعلهم يشكّون في دينهم فيرجعون عنه"[3].

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: الفتن، باب: ما جاء في الشام، رقم: 2192، وابن ماجة في سننه، أبواب: السنة، باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: 5.

[2] القرطبي، المصدر السابق، 4/ 111.

[3] الصابوني، المصدر السابق، 1/ 191.

ومن أمثلة صدّ الكفّار عن العقيدة تشكيكًا في النبيّ صلى الله عليه وسلّم، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (سورة الفرقان: 7-9) قال ابن عاشور: "وقد أوردوا طعنهم في نبوءة النبيّ صلى الله عليه وسلم بصيغة الاستفهام...والاستفهام تعجيبي مستعمل في لازمه وهو بطلان كونِه رسولا"[1]، فغرضهم التشكيك في نبوته صلى الله عليه وسلّم.

وفي القرآن نماذج كثيرة من صدّ الكفّار عن العقيدة بالتشكيك، منها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ (سورة البقرة: 26)، وقوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة الأعراف: 66)، وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ (سورة النمل: 67).

وقصّة التشكيك في العقيدة تتكرّر في كلّ زمان، وبأشكال مختلفة، فأعداء الإسلام يدركون قيمة العقيدة في قيام الأمّة، ومن أشهر وأخطر ما يثار حديثًا من شبهات وتشكيكات عقديّة هي:

01: موجة الإلحاد

يقوم الإلحاد على فكرة إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى، وهي فكرة قديمة، لكنّ المعاصر منها نشأ بعد الثورة الفرنسية، التي همّشت دور الكنيسة، وراحت تتنامى حتّى تقوّت بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، وبينهما نشأت العَلمانيّة والدارونيّة والماركسيّة والوجوديّة، ومن شبهات وتشكيكات الإلحاديين:

- أزليّة المادّة، لأنّهم يردّدون التشكيكات الشيطانيّة القديمة، التي تقول في آخر سلسلة التساؤل: ومن خلق الله؟ ثم يختارون على سبيل التسليم قِدم المادّة وأزليّتها، وأنّها هي الخالقة والمخلوقة، أوجدت نفسها بنفسها، فينكرون الخالق سبحانه وتعالى.
- المغالاة في العلوم التجريبيّة، والإغراق في الماديّة، لأنّهم يشكّكون في عالَم الغيب وما وراء المادة.

[1]) ابن عاشور، المصدر السابق، 18/ 327.

– يزعمون أنّ بين الدّين والحقائق العلميّة تناقضاتٍ كبيرة، ويشكّكون بفرضياتٍ ونظرياتٍ لم ترقَ بعدُ أن تكون حقائق علمية.

– يمدحون أنفسهم بعبارات ضخمة مستغلّين أسماء التّقدّم العلميّ والصناعيّ والتكنلوجيّ، وتطوّر مفاهيم العصر، والتقدميّة والعصريّة والتنوير، للتّمويه بها وتضليل الأذهان المراهقة، مع التّهكّم بالمقدّسات الدّينيّة وأصحابها، ووصفهم بأبشع النّعوت كالرجعيّة والتقليد والتّخلف... [1].

02: موجة الديانة الإبراهيمية

هي فكرة ماسونيّة في أساسها، دعت إلى تسوية الأديان، الإسلام واليهوديّة والنصرانيّة إذّاك، وتسوية القرآن بالتوراة والإنجيل المحرّفَيْن، ثمّ توالت دعوات أخرى، كدعوةِ حوار الأديان، ثمّ دعوةِ تقارب الأديان، ثمّ القولُ بوَحدة الأديان، وبأنْ يُجمع "المسجد والكنيسة والبيعة" في مبنى واحد، ويُطبعَ "القرآن والتوراة والإنجيل" في مجلد واحد، وفي كل ذلك يستخدمون شعار اللقاء الإبراهيمي، أي نسبةً إلى النبيّ إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام، فكان دعاة الديانة الإبراهيمية يصوغون شبهاتهم وتشكيكاتهم ممّا يلي:

– إنّ الديانة اليهوديّة والنصرانيّة والإسلاميّة من مشكاة واحدة، مصدرها الله عزّ وجلّ، وأنّهم جميعًا دينٌ واحد، وأنّ جميع أنبيائها عليهم السلام ينحدرون من نسل واحد، هو نبيّ الله إبراهيم عليه السلام.

– يستدلّون على المسلمين بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة البقرة: 62)، على أنّ هذه الأديانَ واحدةٌ، وأنّ لملتزميها الأجرَ، وأنّهم في أمان وسلام.

– إنّ الدعوة إلى الديانة الإبراهيميّة ضرورة مُلِحة لتحقيق السّلام، ونبذ الحروب، لأنّ أغلب التنافر والتناحر سببه اختلاف الدّين[2].

---

[1]) انظر: حَبَنَّكَة الميداني، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي (ت: 1425هـ)، صراع مع الملاحدة حتى العظم، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الخامسة، عام: 1412هـ-1992م، ص: 61-92،

[2]) انظر: أحمد أنور سيد أحمد الجندي (ت: 1422هـ)، تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين 1920/ 1940، الناشر: دار الاعتصام، ص: 201-202.

الفصل الثاني

(دراسة نظريّة)

المستشرقون وتشكيك

في العقيدة الإسلامية

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق والمستشرقين

من أجل تحديد مفهوم الاستشراق والمستشرقين وجب علينا تعريف الاستشراق والمستشرقين من حيث اللغة، ثمّ الخوض في البحث عنهما في المجال الاصطلاحي، ومن ثمّ نحدد وندقّق مفهومهما

المطلب الأول: تعريف الاستشراق والمستشرقين

الفرع الأول: تعريف الاستشراق والمستشرقين لغة

الاستشراق على وزن استفعال، مصدر لفعل "استشرقَ"، والمستشرِقون جمعُ مستشرِقٍ، وهو اسم فاعل لفعل "استشرقَ"، وهي كلمة مولَّدة، قال أحمد رضا: "مولَّدة عصرية"[1]، أمّا الألف والسين والتاء فتستعمل إمّا للطلب، كقولهم: استغفرَ المسلمُ أي طلبَ المغفرةَ، أو للتحوُّلِ والصيرورة، كقولهم: استحجرَ الطينُ أي: صار حجرًا، أما الحروف الأصلية فهي: "شَرَقَ"، وترد في اللغة على معانٍ، منها معنيان الأول أصليّ والثاني تبعيّ، فأمّا الأصليّ فبمعنى الإضاءةِ، وأمّا التبعيّ فبمعنى الجهةِ.

01: بمعنى الإضاءةِ، قال ابن فارس: "الشين والراء والقاف: أصل واحد يدلّ على إضاءة وفتح، من ذلك: شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت"[2]، وقال ابن منظور: "وأشرقت الشمس إشراقا: أضاءت...وأشرق وجهه ولونه: أسفر وأضاء وتلألأ حسنا...وفي التنزيل: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ (سورة الزمر: 69)[3].

02/ بمعنى الجهة، قال الأصفهاني: "والمشرق والمغرب إذا قيلا بالإفراد فإشارة إلى ناحيتي الشّرق والغرب...وقوله تعالى: ﴿مَكاناً شَرْقِيًّا﴾ (سورة مريم: 16)، أي: من ناحية الشّرق"[4]، وقال ابن منظور: "والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق...وشَرَّقوا: ذهبوا إلى الشرقِ أو أتوا الشرقَ...وفي الحديث: "لا

---

[1]) أحمد رضا، معجم متن اللغة، الناشر: دار مكتبة الحياة –بيروت، عام: 1379هـ-1960م، 3/ 310.

[2]) ابن فارس، المصدر السابق، 3/ 264.

[3]) ابن منظور، المصدر السابق، 10/ 173-174.

[4]) الأصفهاني، المصدر السابق، ص: 451.

تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ولكن شرِّقوا أو غرِّبوا"[1][2]، وقال الفيومي: "والشرق جهة شروق الشمس، والمشرِق مثله وهو بكسر الراء في الأكثر، وبالفتح وهو القياس لكنه قليل الاستعمال"[3].

فالاستشراق من حيث اللغةُ يميل إلى المعنى الثاني، قال الزيادي: "مصدرٌ من الفعل السداسي استشرق: أي طلب الشرقَ"[4]، والتاريخ والواقع يشهدان بذلك، وهذا لا ينفي أن يكون الاستشراق طلبَ الحكمة ونورِها، لأنّ الشرق منبع الحكمة ومهد الأديان[5].

حتى في اللغة الأجنبية "Orientalism" استشراق مشتقة من "orient" أيْ شرق[6].

الفرع الثاني: تعريف الاستشراق والمستشرقين اصطلاحًا

ظهر مصطلح الاستشراق في الغرب منذ قرنين تقريبا، قال "رودِنسون"[7]: "أن كلمة مستشرق ظهرت في اللغة الإنجليزية نحو عام 1779م، وأن كلمة الاستشراق دخلت على معجم الأكاديمية الفرنسية في: 1838م، وفيها تجسدت فكرة نظام خاص مكرَّس لدراسة الشرق"[8]، غير أنّ بحث الغربيين عن

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب القبلة، باب: قبلة أهل المدينة وأهل الشأم والمشرق، رقم: 386، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم: 264، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

[2]) ابن منظور، المصدر نفسه، 10/ 173–174.

[3]) الفيومي، المصدر السابق، 1/ 310.

[4]) محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، الناشر: دار قتيبة –دمشق، الطبعة: الثانية، عام: 2002م، ص: 17.

[5]) انظر: قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، الناشر: دار الرفاعي –الرياض، الطبعة: الأولى، عام: 1403هـ-1983م، ص: 108.

[6]) زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية، الناشر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية –قطر، الطبعة: الأولى، عام: 1404هـ، ص: 18.

[7]) مَكسِيم رودِنسون فرنسيّ شيوعيّ يهوديّ عُرف بمعاداته للصهيونيّة، ولد سنة 1915، نال شهادات جامعية عدّة منها الدكتوراه في الأدب، أتقن عدّة لغات ولهجات عربيّة، عمل مع الجيش الفرنسي ثمّ معلّما بصيدا فتعرّف على الشرق، مؤلّفاته حقودة على الإسلام منها: "سحر الإسلام" "محمد"، توفي سنة 2004.

[8]) رودنسون، صورة العالم الإسلامي في أوروبا، نقلًا عن: سمايلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق، الناشر: دار الفكر العربي، عام: 1418هـ-1998م، ص: 24.

الشرق ظهر قبل ذلك بكثير، وظهرت كلمة مستشرق قبل مصطلح استشراق، قال "آربري"[1]: "وفي سنة 1691م وصف "آنتوني وود" "صمويل كلارك" بأنه: استشراقي نابه"[2].

وقد عُرِّف الاستشراق بتعريفات عِدّة، بعضها تناول الاستشراقَ، وبعضها الآخر تناول المستشرقين.

فأما الذي تناول الاستشراقَ، فمن أبرزها تعريف "رودي بارت"[3]: "الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقيّ"[4]، كما عرفه إدوارد سعيد بقوله: "أسلوب تفكير يقوم على التمْييز الوجودي والمعرفي والمعرفي بين ما يسمى "الشرق" وبين ما يسمى –في معظم الأحيان– "الغرب"...الاستشراق بصفته المؤسسة الجماعيّة للتعامل مع الشرق، والتعامل معه معناه التحدث عنه، واعتماد آراء معينة عنه، ووصفه، وتدريسه للطلاب، وتسوية الأوضاع فيه، والسيطرة عليه، وباختصار بصفة الاستشراق أسلوبًا غربيًا للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه"[5].

أما عن تعريفات المستشرقين فمن أبرزها، تعريف "ألبرت دِيَتريش"[6] بقوله: "ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه"[7]، وعند إدوارد هو: "كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء

---

[1]) آرثر جون آربري إنكليزي ولد في: 1905م، برز في دراسة التصوف الإسلامي والأدب الفارسي، درس في جامعة كمبردج ومنحته درجة الدكتوراه، واختير زميلاً بها لكنه آثر التعليم في القاهرة، ثم عُين رئيساً لقسم الدراسات القديمة في كلية الآداب بالجامعة المصرية، اهتمّ بفهرسة المخطوطات، وترجم القرآن الكريم، توفي في: 1969.

[2]) آرثر جون آربري، المستشرقون البريطانيون، تعريب محمد الدسوقي النويهي، الناشر: وليم كولينز، سنة: 1946، ص: 8.

[3]) رودي بارت ألماني ولد في: 1901، تحصّل على الدكتوراه من جامعة "توبنجن"، ثمّ شغل كرسي علوم الإسلام والساميات بها، ترجم القرآن إلى الألمانية حسب نزوله التاريخي ووضع تعليقات للمشكَل، وذكر خلاصة أبحاث المستشرقين، له رسائل منها: "محمد والقرآن"، كان منصفًا للإسلام، توفي في: 1983.

[4]) رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة: مصطفى ماهر، الناشر: المركز القومي للترجمة، سنة: 2011، ص: 11.

[5]) إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة: الدكتور محمد عناني، الناشر: دار بنجوين العالمية، عام: 1995م، ص: 46/45.

[6]) ألبرت دِيَتريش الألماني ولد في 1912، درس اللغة العربية والدراسات الشرقية في جامعة هامبورغ وتحصّل على شهادة الدكتوراه بها، عُين أستاذًا مشاركًا وعمل محاضرًا في قسم اسطنبول لمعهد الآثار الألماني، ثمّ في جامعة غوتنغن إلى رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية، له مؤلفات منها: "الإسلام والغرب" و"الشرق والغرب".

[7]) ألبرت دِيَتريش، الدراسات العربية في ألمانيا، نقلًا عن: سمايلوفتش، المصدر السابق، ص: 25.

البحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في مجال الانثروبولوجيا، أو علم الاجتماع، أو التاريخ، أو فقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة"[1].

الفرع الثالث: التعريف المُختار للاستشراق والمستشرقين

رأينا في تعريف الاستشراق والمستشرقين أنّه مشتقّ من "شرق" وفي اللغة له معانٍ منها الإضاءة والجهة، ورجّحنا الثاني مع إمكانية الأول، ثم في الاصطلاح هو بحث الغربيين عن العالم الشرقيّ وحضاراته ولغاته وأديانه، فما المراد بالشرق أذن؟ يجيب الخربوطلي: "إن مفهوم هذه الكلمة "الشرق" يتغير تبعًا لاختلاف المكان، وتبعًا لتغير الأزمان، فالشرق يختلف بالنسبة لليابانيّ أو العربيّ أو الألمانيّ أو الإنجليزيّ أو الأمريكيّ، والشرق يختلف بالنسبة لأهالي العصور القديمة والوسطى، أو للبشر في تاريخنا الحديث والمعاصر، وخاصة بعد اكتشاف الأمريكيتين"[2]، ويحدّده محمد حسين: "ويَعنُون بالشرق أهل آسيا وإفريقيا، الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم"[3]، أيْ: موضع العالم الإسلاميّ، ولا نُنكر بحوث المستشرقين عن غيرهم من الشرق، إلّا أنّ البحث عن العالم الإسلاميّ هو الغالب بل الطاغي طغيانًا كبيرًا، لذا انْصَبَّ اهتمام معظمهم على دراسة الإسلام عقيدةً وشريعةً ولغةً وتاريخًا، لأنّ الإسلام مصدر عزِّ الشرق فإذا وهنَ الإسلام وهنَ الشرق[4]، وإلى هذا ذهب مالك بن نبي فقال: "إننا نعني بالمستشرقين الكُتّاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلاميّ وعن الحضارة الإسلاميّة"[5].

وإذا تصفّحنا تاريخ الاستشراق نجده ارتبط بالأحداث الإسلاميّة من ظهورٍ إلى فتوحاتٍ، حدّدت دوافعه التي كانت في الغالب معادية للإسلام، وفي تعريفات إدوارد شواهد ذلك منها: "السيطرة عليه"، "للهيمنة على الشرق"، "وإعادة بنائه والتّسلّط عليه"[6]، فالاستشراق ليس دراسة بريئة للشرق، وإنما هو

---

[1]) إدوارد سعيد، المصدر نفسه، ص: 44.

[2]) علي حسني الخربوطلي، الاستشراق في التاريخ الإسلامي، الناشر: الهيئة المصرية العامة –القاهرة، عام: 1988م، ص: 12.

[3]) محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة: الخامسة، عام: 1982م، ص: 11.

[4]) مصطفى الخالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار، الناشر: المكتبة العصرية –بيروت، الطبعة: الثالثة، عام: 1986م، ص: 7.

[5]) مالك بن نبي: مجلة الفكر العربي، العدد: 32، ص: 130.

[6]) إدوارد، المصدر السابق، ص: 46.

منهجٌ ووسيلةٌ للغزو الفكريّ[1]، وخدمةٌ للتنصير والحروب الصليبيّة والاستعماريّة، لذلك كان جهازًا جماعيًّا منظما، يقول إدوارد: "الاستشراق بصفته المؤسسة الجماعيّة..."[2].

ولمّا ظهر الاستشراق على حقيقته الغالبة حاول البعض تبرئة ساحته، وحاول آخرون التبرؤ منه، كما فعل بعضُ المستشرقين، وبعضُ ساسة الغرب وإعلامهم، ورد عن "جاك بيرك"[3] قوله: "انتهى زمن الاستشراق"، ولعلَّه أغلب ذلك من باب الحيلة، فإن الاستشراق لا زال حيًا قويًا، وإنْ تغيّر الاسم[4].

لذا فإنّ التعريف الذي نرتضيه أنّ الاستشراق هو: **بحث منظم من مؤسسات غربيّة عن العالم الشرقيّ وحضاراته ولغاته وأديانه عامّة، وعن العالم الإسلاميّ خاصة، وذلك لتحقيق أهدافهم.**

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق ومراحل تطوره

تعددت الآراء حول تاريخ الاستشراق، إلّا أنّ أغلبها إمّا أن تكون بوادر نشأته أو ظروفًا وأسبابًا أحاطت بنشأته أو مراحل أطواره التاريخية، أو حتى أعمالًا فردية، وإليك ملخصها.

الفرع الأول: نشأة الاستشراق

اختلف العلماء في بداية الاستشراق، فيرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام، وذلك في أول لقاءٍ بين الرسول صلى الله عليه وسلم ونصارى نجران، أو قبلُ عندما راسل النبيّ صلى الله عليه وسلم الملوك والأمراء، أو قبلَ ذلك عند التقاء المسلمين بالنجاشي في الحبشة، أو حينما سأل هرقل أبا سفيان عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[1]) علي محمد جريشة وزميله، أساليب الغزو الفكري، الناشر: دار الاعتصام –القاهرة، الطبعة: الأولى، عام: 1977م، ص: 24.

[2]) إدوارد، المصدر السابق، ص: 45.

[3]) فرنسيّ وُلد في 1910 بالجزائر، تعلم بها ثم بفرنسا، عمل خبيراً لليونسكو في مصر، وأستاذاً في كوليج دي فرانس ثمّ مديراً للأبحاث في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، اهتمّ بدراسة الإسلام واللغة العربية، دافع عن الجزائر والمغاربة ضد الاستعمار، وناهض الصهيونية، من مؤلفاته: "ترجمة القرآن الكريم" و"العرب من أمس إلى الغد" و"الإسلام أمام التحدي"، توفي في 1995.

[4]) انظر: أنور الجندي، الإسلام في وجه التغريب، ص: 417.

ويرى آخرون أن أول استشراقٍ بدأ في القرن الثاني الهجري، مع "يوحنا الدمشقي"[1] وكتابَيْه "الهرطقة المئة" فيه حياة محمد"، و"جدال بين مسيحي ومسلم" وضعهما للنصارى لمجادلة المسلمين.

وثمة رأي آخر أنّ الاستشراق نشأ في أوروبا بعد فتح الأندلس عام: 711م، حين احتكّ النصارى بالمسلمين واهتموا بعلومهم[2]، فدعا ملك قشتالة "ميشيل سكوت" عددًا من الرهبان منهم "جُربُرْت"[3]، ثم "بطرس"[4]، و"جيراردي"[5][6]، لترجمة كتب المسلمين، ثم استنسخها.

لذا يرى آخرون أن الاستشراق بدأ في القرن الثاني عشر الميلادي لمّا تمَّت أولى ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية عام: 1143م، ثمّ أُلِّف أوّل قاموس لاتيني عربي[7].

ويرى آخرون أنّ فشل الحروب الصليبية عام: 1291م كان له دور كبير في ظهور حركة الاستشراق، حيث اقنع لويس التاسع –بعد فكّ أسره في مصر– الأوربيين بالقوة العلميّة في مواجهة الإسلام بدل القوة العسكريّة فقط[8].

ومن الآراء أنّ الاستشراق بدأ بقرار من مجمع فيينا الكنسي عام: 1312م، الذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغات العربية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية مثل باريس وأكسفورد وغيرهما، ويذكر إدوارد سعيد أن الاستشراق اللاهوتي الرسمي قد بدأ وجوده بصدور هذا القرار[9].

---

[1]) منصور بن سرجون قدِّيس دمشقي ولد سنة 676م، حصل على ثقافة أدبية وفلسفية ودينية، عمل على إدارة أموال الأمويين، ثمّ تركها والتحق بالتنسّك، تعمّق في اللاهوت على يد البطريرك يوحنا الرابع (706–734) الذي أخذ اسمه، توفي سنة 749م.

[2]) انظر: إدوارد، المصدر السابق، ص: 80.

[3]) جُربُرْت دي أورلياك راهب فرنسي وُلد في 938 وتُوفي في 1003م، درس الفلك والرياضيات والكيمياء في جامعة قرطبة، انتخب بعد عودته حبرًا أعظم وتسمى باسم "سلفستر الثاني" من سنة 999 إلى وفاته، وكان بذلك أول بابا فرنسي.

[4]) بطرس المحترم راهب فرنسي ولد حوالي 1092م وتُوفي في 1156م، نشأ في أدْيِرة وصار رئيساً لها، رحل إلى إسبانيا لينهل من علوم المسلمين، ترجم القرآن إلى اللاتينية لأول مرّة، وألّف كتابين للطعن في الإسلام وفي القرآن وفي النبيّ صلى الله عليه وسلم.

[5]) جيراردي كريمونيّ إيطاليّ ولد في: 1114م وتُوفي في: 1187م، من أهم علماء ومترجمي علوم طليطلة التي أنعشت أوروبا في العصور الوسطى في القرن الثاني عشر، فقد ترجم الكثير من المعارف الإسلاميّة من طب وفلك وغيرهما إلى اللاتينية.

[6]) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر –القاهرة، عام: 1998م، ص:14–17.

[7]) انظر: سمايلوفتش، المصدر السابق، ص: 55.

[8]) انظر: السباعي، المصدر السابق، ص: 14.

[9]) انظر: الزيادي، المصدر السابق، ص: 26، وانظر: إدوارد، المصدر السابق، ص: 80.

ولاشك أنّ هذه البدايات هي إرهاصات لبداية حقيقية للاستشراق الذي ينتج آلاف الكتب ومئات الدوريات وعشرات المؤتمرات.

الفرع الثاني: مراحل تطور الاستشراق

إنّ البداية الحقيقية للاستشراق تزامنت مع تجمع عناصرها العلميّة والإداريّة والماليّة، ومع بداية الطباعة العربية، فتحرّكت البحوث على العالم الشرقيّ ودياناته وحضاراته، وصدرت الكتب تأليفًا أو تحقيقًا، وأُسّست الجامعات والمراكز البحثيّة، ومُوِّلت كل الأنشطة الاستشراقيّة بسخاء[1].

إذ يرى الباحثون أن القرن السادس عشر الميلادي شهد ولادة الاستشراق الفعليّة، باتصال الغرب المسيحيّ بالشرق الإسلاميّ، وبالتبادلات التجاريّة بعد اكتشاف موارد الثروة[2]، وقد أُنشئ أولُ كرسيٍّ للغة العربية في باريس عام: 1539م، فشغله "جيوم بوستل"[3].

وفي القرن السابع عشر بدأ المستشرقون بجمع المخطوطات العربية والإسلاميّة وجلبها، والإشراف على نشرها وتصحيحها[4]، كما تتابعت الجامعات الأوروبية في إنشاء كراسي للّغة العربيّة مثل: كرسي أكسفورد عام: 1638م، وكامبريدج عام: 1632م[5].

وفي نهاية القرن الثامن عشر كان الاستشراق قد وطَّد أقدامه وتوسّع في الشرق بشكل غير مسبوق، بعد الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م[6].

ومع بداية القرن التاسع عشر بدأت الدراسات الاستشراقيّة بأسلوب أشمل، مصحوبة بروح صليبيّة استعماريّة، وكانت الإغارةُ على مخطوطات العرب والمسلمين ونوادرِها خاصةً، فسُرقت ونُقلت إلى بلدانهم ومكتباتهم، كما تأسّست الجمعيات العلميّة للدراسة والبحوث[7].

---

[1]) انظر: زقزوق، المصدر السابق، ص: 30، وانظر: سمايلوفيتش، المصدر السابق، ص: 77.

[2]) انظر: جريشة، المصدر السابق، ص: 19، زقزوق، المصدر السابق، ص: 29.

[3]) فرنسيّ ولد في 1510م وتوفي في 1581م يعد أول مستشرق حقيقي، نحويّ وفلكي ودبلوماسي، درس في باريس وكان بارعاً في في اللغات الشرقيّة والساميّة والكلاسيكية، من آثاره كتاب في النحو العربي، و"جمهورية التُّرْك" فيه صورة مثالية للمجتمع العثماني.

[4]) بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة: الرابعة، ص: 248.

[5]) سمايلوفتش، المصدر نفسه، ص: 81.

[6]) انظر: الخربوطلي، المصدر السابق، ص: 27.

[7]) انظر: زقزوق، المصدر السابق، ص: 42.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عُقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس سنة 1873م وتتالت المؤتمرات، وصدرت الدوريات، ونشرت الكتب[1].

وبحلول القرن العشرين جرت تَحوُّلاتٌ خطيرةٌ في العالم العربي، إذ وَفَدَ عددٌ كبير من المستشرقين للتّدريس في الجامعات العربية، من أبرزهم: ماسينيون، شاخت، توماس أرنولد، كازانوفا، كراوس، ليتمان، الذين حاضروا في الفقه والأدب والفلسفة...[2].

المطلب الثالث: أهداف الاستشراق

من تاريخ الاستشراق وتطوراته تتضح دوافع حرّضت المستشرقين ليطّلعوا على العالم الشرقي، وذلك من أجل تحقيق أهدافهم، أهمّها الدينيّة، ثم أهداف تبعيّة، وهي السياسيّة، ثم الاقتصاديّة، ثمّ العِلميّة، وفيما يلي توضيحًا مختصرًا لها.

الفرع الأول: الهدف الديني

وهو أهمّ الأهداف، وأهمّ الأهمّ هي العقيدة حسب سمايلوفتش[3]، وهي المحور الأساس الذي ارتكزت عليه الدراسات الاستشراقيّة، وقد رأينا أنّ الاستشراق نما وترعرع في أحضان الكنائس والأديِرَة، وكانت بدايته على أيدي رهبان النصارى لتحقيق ثلاثة أهداف دينية:

01: الطعن في الإسلام وتشويه المسلمين.

02: حماية النصارى من التنصر.

03: تنصير "تبشير" المسلمين وغيرهم من غير النصارى.

لاسيما بعد اكتساح الإسلام المناطق التي كانت نصرانيةً، وإقبال كثير من النصارى على الدّين الإسلاميّ، فخاف رجال الدّين على النصرانيّة، وعلى مكانتهم الاجتماعيّة والسياسيّة في العالم النصرانيّ،

[1]) انظر: زقزوق، المصدر نفسه، ص: 43.

[2]) انظر: جريشة، المصدر السابق، ص: 19.

[3]) انظر: سمايلوفتش، المصدر السابق، ص: 87.

فعادت الكنيسةُ الإسلامَ وسَعَت لتشويهه وتشويه حضارته، ثمّ تركت المهمّةَ بعد ذلك للمستشرقين على حدّ تعبير "وليَم مونتْجُمُري وات"[1]، الذين سعوا لمعرفة الإسلام من أجل محاربته[2].

وقد صرّح قرار الجمعية العامة لإنشاء كرسي اللغة العربيّة في جامعة كامبردج سنة: 1636م بهدفين أحدهما: "نهدف...وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة، والدعوة إلى الدّيانة المسيحيّة بين هؤلاء الذين يعيشون في ظلمات"[3]، ومع أن الغرب يمقتُ الكنيسةَ، وقد ثار عليها بشعار "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس"، ومع أن السّياسيين يمقتون رجال الدّين، إلّا أنّهم تعاونوا لخدمة مصالحهم الاستغلالية، فبالهدف الدينيّ خدموا الاستعمار، وبالاستعمار خدموا الدّين[4]، ومن أمثلته ما قام به "ليون روش"[5] في الجزائر لصرف الناس عن مساندة الجهاد ضدّ فرنسا.

ثانيًا: الهدف السياسي

من خلال تاريخ الاستشراق، وفي مراحله الأولى، وأطواره المتلاحقة تَبيّنَ تلازمُ الاستشراق والهدفِ السياسي، خاصة بعد الأحداث السياسية التالية: فتحِ المسلمين للشام كلِّها عام: 19هـ/ 640م واستلامِهم بيت المقدس عام: 16هـ/ 637م، وفتحِ المسلمين للأندلس عام: 711م، ونهايةِ الحروب الصليبية بانهزامهم عام: 1291م، وفتحِ المسلمين للقسطنطينية عام: 1453م، فقد انبرى نفر من

---

[1]) وليَم مونتْجُمُري وات إنجليزي ولد في: 1909م درس في أكاديمية لارخ، ثمّ في عدة كليات وجامعات بريطانيّة وألمانيّة، تخصص في الإسلام، وعمل في عدّة كنائس، ورئيسًا لقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أدنبره، عُرف بتعصبه للتنصيريّة، وله عدة مؤلفات منها: "محمد في مكة"، "محمد في المدينة"، "القضاء والقدر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة".

[2]) انظر: الغزالي، محمد، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، الناشر: دار النهضة –القاهرة، ص: 3، وانظر: حبنكة الميداني، عبد الرحمان حسن، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار، الناشر: دار القلم –دمشق، الطبعة: الثامنة، عام: 2000م، ص: 130-131.

[3]) عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية، الناشر: دار الفكر المعاصر، عام: 2010، ص: 19.

[4]) على بن إبراهيم النملة، الاستشراق والقرآن الكريم، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد: الثالث، السنة: الثانية، جانفي 2007، ص: 129.

[5]) فرنسي ولد في 1809، التحق بوالده بالجزائر في 1832 فتعلم اللغة العربية، وتقلب في مراتب عسكريّة ومراكز سياسية، طلب منه الجنرال بيجو التفاوض مع الأمير عبد القادر لوقف قتالهم، بعد قصة حب فاشلة تظاهر بالإسلام وادعى انضمامه للأمير عبد القادر، انكشف أمره بعد نشوب معركة بين الجزائريين وفرنسا فكلّف بمهمة أخرى وهي إقناع علماء المسلمين بإصدار فتوى تحرم الجهاد مع الأمير عبد القادر، كتب روش مذكراته بعنوان: "اثنان وثلاثون عاماً في الإسلام"، توفي عام 1901.

المستشرقين لدراسة الأمة الإسلامية جغرافيًا وسياسيًا[1]، فخدم الاستشراقُ الاستعمارَ بمعلومات موسّعة ومفصّلة عن الدول التي يرغب في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها، قبل دخوله إليها، وأثناء وجوده فيها، وبعد خروجه منها، ليحقّق أهدافًا سياسية[2].

الفرع الثالث: الهدف الاقتصادي

من الأهداف التي حرص عليها المستشرقون الهدفُ الاقتصادي، حيث كانت المطامعُ الاقتصاديّة متوازيةً ومتزامنةً مع المطامح السياسيّة، وتمثّلت هذه المطامع في شكلين[3]:

01: استيلاءِ الغربِ على ثروات الشرق، بناء على اكتشاف المستشرقين لموارد المواد الخام في القرن السادس عشر الميلادي.

02: جعلِ الغربِ الشرقَ أسواقًا لسلعه التجارية، وهو أحد الهدفين الذي صرّح به قرار الجمعية العامة لإنشاء كرسي اللغة العربيّة في جامعة كامبردج سنة: 1636م: "نهدف إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة، عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية"[4].

وقد ازداد هذا الطمع عندما بدأت نهضة أوروبا الصناعية، فازداد نهمها للمواد الخام، وازدادت حاجتها إلى أسواق تجارية لصرف بضائعها، فكان لزاما أن يتعرفوا على مصادر الثروات الطبيعية، وأن يبحثوا عن أسواق لمنتجاتهم، وهذا دور المستشرقين[5].

الفرع الرابع: الهدف العلميّ

تعامل الغرب مع علوم الشرق والمسلمين خاصّة بتقسيمها إلى علوم دينيّة وعلوم دنيويّة.

أولًا: فأمّا العلوم الدنيوية فما نهضَتْ أوروبا إلا بدراسة منجزات الحضارة الشرقيّة والإسلاميّة وترجمة كتبها إلى لغات أوروبيّة، وهذا الهدف قد اضمحلّ في الطور الأخير[6].

---

[1]) انظر: زقزوق، المصدر السابق، ص: 44.

[2]) انظر: حبنكة الميداني، المصدر السابق، ص: 127.

[3]) انظر: جريشة، المصدر السابق، ص: 19.

[4]) انظر: محمد الأمين النعيم، المصدر السابق، ص: 19.

[5]) انظر: السباعي، المصدر السابق، ص: 18

[6]) انظر: سمايلوفتش، المصدر السابق، ص: 69.

ثانيًا: وأمّا العلوم الدينيّة وخاصة الإسلامية منها، فقد انقسم المستشرقون فيها إلى نزيه وحقود.

1: أمّا الحقود فهم الكثرة، وهم الذين انطلقوا من مخططات كنسيّة واستعماريّة للطعن في الإسلام، فنذروا علومهم لبثّ التشكيكات والشبهات، يَذكر إدوارد سعيد أن أفكار المستشرقين المغلوطة عن الإسلام والمسلمين لا زالت هي أفكار الأوربيين، والمجسدة في أفلامهم وسينمائهم[1].

2: وأمّا النزيه فهم قلّة، لم يشتركوا في مخططات كنيسيّة أو استعماريّة، بل بذلوا جهدهم في فهرسة المخطوطات والتأليف، وانقسموا إلى فريقين:

فريقٍ حافظ على هذا المسار فتجرَّد لحقيقة الإسلام، وكان منصفًا وربّما أسلم، إلّا أنّ المناخ الاستشراقيّ والكنسيّ خاصّة همّشهم[2]، بل رُبَّما ضُيِّق عليهم، مثلما حدث مع رجاء جارودي من محاكمات ومضايقات، لأنه دافع عن بعض قضايا الأمة الإسلاميّة، وأعلن إسلامه.

وفريقٍ أثّر فيه المناخ الاستشراقيّ والكنسيّ المعادي للإسلام، فيُظهر النزاهة والتجرّد لكن يتذرع بها لأهداف مشبوهة، أو اتّسم بالنزاهة لكن خانه الفهمُ السليم لجهله باللغة أو قواعد الاستنباط.

المطلب الرابع: وسائل الاستشراق

سعى المستشرقون من أجل تحقيق أهدافهم إلى وسائل متعددة، منها وسائل ماديّة وأخرى فكريّة.

الفرع الأول: الوسائل الماديّة

الوسائل الماديّة كثيرةٌ ومتنوّعةٌ، أهمّها:

01: إنشاء جامعاتٍ ومعاهدَ وأقسامٍ علميّةٍ ومراكزَ بحثيّةٍ عاليةٍ لكل التخصصات، في الدول الغربيّة كجامعة ميونيخ، وكذا في بعض دول الشرقيّة كالجامعة الأمريكيّة في القاهرة وبيروت، استقطبوا فيها طلابًا من عالميْ الغرب والشرق، ليستنسخوا منهم عقليات استشراقية[3] لنشر أفكارها في عوالمهم.

[1]) انظر: إدوارد، المصدر السابق، ص: 288-286.

[2]) انظر: زقزوق، المصدر السابق، ص: 31–38، وانظر: حبنكة الميداني، المصدر السابق، ص: 53-54، 130-131

[3]) انظر: زقزوق، المصدر نفسه، ص: 59-61، وانظر: مازن مطبقاني، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، ص: 58.

02: جمع المخطوطات خاصّة من العالم الإسلاميّ بطرق مشروعة أو غير مشروعة[1]، وخدمتها من النواحي الفنيّة والعلميّة، ثمّ فهرستها[2] وتحقيقها ونشرها، وهذا مما يُحسب لهم، فلو بقيت عندنا لتلفت أو ضنّ بها وارثوها، والمخطوطات المحقّقة هي بالآلاف، منها سيرة ابن هشام، وتاريخ الطبري...

03: ترجمة الكتب إلى لغات عدّة[3]، بِدءًا بترجمته معاني القرآن الكريم[4]، كما ترجموا في العصور الوسطى كتب الطبّ والهندسة...، ثمّ ترجموا الكتب الإسلاميّة كتاريخ الطبري، إحياء علوم الدّين للغزاليّ...

04: تأليف الكتب[5]، ففي قرنٍ ونصف ألّفوا ستين ألف كتابٍ[6] في كل الفنون، ومن ذلك "دائرة المعارف الإسلامية" المليئة بالتضليلات[7]، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، نشرتها جامعاتٌ غربية أشهرها جامعة أكسفورد صاحبة "موسوعة أكسفورد للعالم الإسلامي الحديث".

05: إنجاز بعض المعاجم، مثل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه "فلوجِل"[8] سنة: 1842، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف وضعه مجموعة من المستشرقين على رأسهم "وِنسينك"[9]، إضافة إلى قواميس الترجمة من وإلى اللغة العربية[10].

---

[1]) انظر: زقزوق، المصدر نفسه، ص: 60-61.

[2]) 10.000 مخطوط في مكتبة برلين، فهرستها فقط: 10 مجلدات.

[3]) انظر: زقزوق، المصدر السابق، ص: 62-64.

[4]) انظر: محمد صادق البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص: 87–133.

[5]) انظر: زقزوق، المصدر نفسه، ص: 65-68.

[6]) انظر: إدوارد، المصدر السابق، ص: 216.

[7]) انظر: أنور الجندي، المصدر السابق، ص: 154.

[8]) غوستاف ليبرشت فْلوجِل، ألماني ولد في 1802م، دخل جامعتها وتخصص في اللاهوت والفلسفة واللغات الشرقية، ولدراسة المخطوطات الشرقية زار فيينا وباريس...، كُلّف بفهرستها، وحقّق الكثير منها مثل: "التعريفات" للجرجاني و"كشف الظنون" لحاجي خليفة...، وألّف الكثير منها: "حياة السيوطي ومؤلفاته" و"تاريخ العرب"، وهو أول من "فهرس القرآن"، توفي في 1870.

[9]) أرند جان فِنْسِنْك هولندي ولد في 1882م، تحصل على الدكتوراه ورسالته هي: "محمد واليهود في المدينة"، وضع المعجم مفهرس مفهرس لألفاظ الحديث مستعينًا بثمانية وثلاثين باحثاً، بتمويل أكاديمية العلوم في أمستردام وغيرها، نقله إلى العربية فؤاد عبد الباقي، وله مؤلّفات منها: "العقيدة الإسلامية: نشأتها وتطورها التاريخي"، توفي في 1939م.

[10]) انظر: الزيادي، المصدر السابق، ص: 109-114.

06: تأسيس الجمعيات[1]، كالجمعية الآسيوية في باريس سنة: 1822م، والجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وأيرلندا سنة: 1823م، والجمعية الشرقية الأمريكية سنة: 1842م، والجمعية الشرقية الألمانية سنة: 1845م.

07: إصدار المجلات والدوريات[2] بالمئات لمختلف الدراسات الشرقيّة منها: "دورية مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية" بجامعة لندن، و"دورية جسور" تصدر عن مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة كاليفورنيا، و"مجلة العالم الإسلامي" من ألمانيا، و"مجلة العالم الإسلامي" من أمريكا...

08: عقد ندوات ومؤتمرات ومحاضرات ودورات علميّة متخصّصة محليّة وإقليميّة ودوليّة، يلتقي فيها علماء الاستشراق لتقديم بحوثهم ومخططات مستقبليّة، وكانت البادرة أوروبيةً فرنسيةً سنة: 1873م بباريس ثمّ توالت[3].

ثانيًا: الوسائل الفكريّة

الوسائل الفكريّة كذلك متنوّعة وكثيرة، منها:

01: التّشكيك في الإسلام ووحيْه، وفي العقيدة والفقه والأخلاق، وكذا التّشكيك في اللغة العربيّة والسيرة والمغازي والتاريخ الإسلاميّ، ثمّ التّشكيك في مواكبة الإسلام للتطور، أمّا المستشرقون فيلقون بالتشكيك ليلتقطه أتباعهم فينشرونه[4].

02: البحث عن الضعيف والشاذّ من الأخبار بل وحتى الموضوعات من الروايات، فيأخذون بها ويعتمدون عليها، ويستنبطون منها أحكامًا، كما أنهم ينتقون بعض الأحداث والقضايا فيضخّمونها ويهمِلون غيرها[5].

---

[1]) انظر: زقزوق، المصدر نفسه، ص: 41-42.

[2]) انظر: زقزوق، المصدر نفسه، ص: 42، 43

[3]) انظر: حبنكة الميداني، المصدر السابق، ص: 132–140، وانظر: مطبقاني، المصدر السابق، ص: 172.

[4]) انظر: جريشة، المصدر السابق، ص: 24.

[5]) انظر: السباعي، المصدر السابق، ص: 33-34.

03: الاعتماد على مصادر غير موثوقة لدى المسلمين، ليجعلوها مصادر أساسيّةً لدراساتهم وبحوثهم، ومن ذلك رجوعهم مثلًا إلى كتاب "الأغاني" للأصفهاني، أو "المغازي" للواقدي فيجعلونها مرجعاً أساسياً في دراساتهم للتاريخ الإسلامي وللمجتمع الإسلامي[1].

04: التركيز على الفرق الهدّامة والدعوات الضالة التي ظهرت في التاريخ الإسلامي كالإسماعيليّة، والدفاع عنها ومحاولة بعثها من جديد، وإحياء التراث الدّفين الباطنيّ والمجوسيّ والمعتزليّ بتحقيق مخطوطاتهم، بل هناك من كَتَبَ عن المنافقين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على أنّهم معارضة الشرعيّة[2]

05: الخضوع للهوى والبعد عن التجرّد العلمي في التحليل والاستنباط، فالمستشرق يحدّد هدفًا ويسعى للوصول إليه، ويفسّر بإسقاط ما في واقعنا اليوم من أحكام على ما في واقع القرون الغابرة، رغم كلّ الاختلافات، فمثلاً في الغرب تنازع على السلطة، فيسقطون هذه الصورة على الخِيَرَة، كبيعة الصّدّيق رضي الله عنه[3].

06: الغزو الفكري بتربية جيل من أبناء المسلمين على الفكر والسلوك الغربي، وعزله عن دينه وحضارته، وذلك بتهجين التعليم والإعلام والفكر والأدب...لتكون غربية، وعرقلة أيّ نهضة إسلامية فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً ببث العلمانيّة والشيوعية والوجودية والقومية...، وتمكين أصحابها[4].

[1]) انظر: السباعي، المصدر نفسه، ص: 35-36.

[2]) انظر: السباعي، المصدر نفسه، ص: 37-38.

[3]) انظر: مطبقاني، المصدر نفسه، ص: 183.

[4]) انظر: جريشة، المصدر نفسه، ص: 34-48.

المبحث الثاني: تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلامية

بعد أن تعرفنا في المبحث السابق على مفهوم الاستشراق والمستشرقين، وتحدّثنا عن تاريخهم وأهدافهم ووسائلهم، نتساءل: هل من أهدافهم التشكيك في العقيدة الإسلاميّة؟ ولِم التشكيك في العقيدة الإسلاميّة بالذّات؟ وماهي آثاره؟ هذا ما نتعرّف عليه في المطلب الأول.

أمّا المطلب الثاني فنأخذ فيه نموذجَيْن مقتضبيْن من التشكيك عن كلّ قضيّة، وذلك في محورين:

المحور الأول: التشكيك في مصدريّة الإسلام، وفي مصدريْ الوحي فيه القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، لأنّ التشكيك في هذه الثلاثة يسوقنا حتمًا إلى التشكيك في العقيدة، واصطلحنا على هذا التشكيك بـ: **التشكيك في كليّات الدّين**.

المحور الثاني: التشكيك في مضامين العقيدة الإسلامية ذاتها في أقسامها الثلاثة: الإلهيات والنبوات والسمعيات، واصطلحنا على هذا التشكيك بـ: **التشكيك في المسائل العقديّة**.

المطلب الأول: تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلامية وأثره

أولًا: تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلامية

بعد الفتوحات الإسلاميّة لأرض الشام وضمِّ بيت المقدس للمسلمين، وبعد انهزام الصليبيين في حروبهم التي دامت قرنين، أيقن الغرب أنّ المواجهة المسلحة وحدها ضدّ المسلمين غيرُ كافية، ولابدّ أن تُعزّز بحرب في الأفكار والرُؤى، قال "ريتشارد سوذرن" (1912-2001): "وقد أدرك ألدُّ أعداء الإسلام من الأوروبيين أنَّ الصّراع العسكريّ معه لا يكفي لإسقاطه، وأنّه لابدَّ من اشتغالٍ أعمقَ بفهم مضامينه ومحاولة نقضها، وكانت حجَّتُهم في إقبالهم على دراسة الإسلام ضربَ إرادة المقاومة عند الخصم عن طريق تشكيكه بصحّة عقيدته"[1]، فبدأ المستشرقون دراسة الإسلام وخاصّة العقيدة الإسلامية التي كان

[1]) سوذرن ريتشارد، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة رضوان السيّد، ص: 86، نقلا عن: الدكتور راجح إبراهيم السباتين، شبهات ومطاعن الاستشراق الديني في مواجهة الإسلام ونبوّة محمدٍ، ص: 18-19.

من أهدافهم التشكيكُ فيها، بل التشكيكُ فيها أهمّ أهدافهم[1]، ومنذ أن بدؤوا هذه الدراسة سلكوا طرقًا خبيثة لتزييف العقيدة الإسلامية[2].

فقد قام المستشرقون أوّلًا بحملات تشكيكيّة لضرب العقيدة الإسلامية، وذلك ببثّ الشكوك حول مصدريّة الإسلام أصلًا، والتشكيك في مصدريْ الوحي فيه، وهما القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة[3]، ودليل ذلك كتاباتهم المشحونة بالحقد والتحامل على الإسلام والمسلمين، قال "وات": "صحيح أنَّه كان ثمة بعضُ الإحاطة بالإسلام من قَبل، سواء بفضل المصادر البيزنطية، أو بفضل صِلات المسيحيين بالمسلمين في إسبانيا، غير أن تلك المعارف السائدة وقتذاك كانت مشوبةً إلى حدٍّ رهيب بالأوهام والأخطاء، فقد نُظِرَ إلى العرب باعتبارهم وثنيين يعبدون محمدًا، ونُظِر إلى محمد باعتباره ساحرًا، بل الشيطانَ بعينه"[4].

ثمّ قام المستشرقون ثانيًا بحملات تشكيكيّة في مضامين العقيدة الإسلاميّة ذاتها لضرب الإسلام، فقد درس عددٌ منهم العقيدة الإسلاميَّة، وزعموا: "أنّ الإسلام مستمَدٌّ من الأديان السابقة" وأصبحت هذه النتيجة موضةَ المستشرقين، يذكر إدوارد سعيد "أن المستشرقين نشروا عن الاسلام والمسلمين فكرة مغلوطة، وأنهم يصِفونهم بأبشع الصفات، وأنهم غرسوا ذلك في أفكار الأوربيين، ونجدها اليوم مجسدة في أفلام السينما"[5].

والإسلام يواجه عِداءَ المستشرقين الذي يتوارثونه جيلًا فجيلًا، وسواءً كان التشكيك بقصدٍ لتحقيق أهدافهم الدنيئة أو بعفويّة فالمحصّلة واحدة، فالمستشرقون يعلمون أن الشكّ في حكم عقديٍّ واحدٍ يتولّدُ عنه شكٌّ في حكم عقديٍّ آخر، وهلمّ جرًّا، وأنّ الشكّ في نصّ واحدٍ يوجب الشكّ في نصّ آخر، وتتوالى الشكوك، فهم يزرعون بذرة شكٍّ واحدة اليومَ، لتتوسّع دائرتها زمانًا ومكانًا وكيفيّةً، ولو كان

---

[1]) انظر: سمايلوفتش، المصدر السابق، ص: 87.

[2]) انظر: أنور الجندي، المصدر السابق، ص: 7-8.

[3]) انظر: السباعي، المصدر السابق، ص: 25-33.

[4]) مونتغومري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة: حسين أحمد أمين، الناشر: مكتبة مدبولي –مصر، الطبعة: الأولى، سنة: 1403هـ-1983م، ص: 99.

[5]) إدوارد، المصدر السابق، ص: 288-286

التشكيك بأوْهن الأسباب، كما فعل "كارل بروكلمان"[1] الذي اعتمد على روايات ضعيفة كالتي أوردها ابن جرير الطبري (ت: 310هـ) عن ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم لأصنام بالكعبة، أو ما يعرف بحديث الغرانيق، والتي تدرّس لطلبة قسم التاريخ بجامعة كامبردج، فلماذا يصدّقون هذه المواضيع؟ بينما يُكذّبون مواضيع أثبت منها وأوثق، و"كارل بروكلمان" أصلًا يُكذّب مواضيع أثبتَ منها وأوثق، إنّ اهتمام المستشرقين بهذا وأمثاله إنّما لينفثوا به سمومهم، وينشروا أباطيلهم من أجل زلزلة العقيدة الإسلاميّة.

حتى الدراسات الاستشراقيّة الموضوعيّة لم تسلم من التعصب والهوى، بل ولم تسلم من النزعات الدينية أو الاستعمارية، كما لم تخلُ من أخطاء لغوية وعلمية وتاريخية، مقصودة أو غير مقصودة، فهؤلاء القوم مهما بلغت معرفتهم بلغتنا فإنه يغيب عنهم نسقُ الشرق وروحُ ألفاظه وعباراته، لذلك نجد استنتاجاتهم خاطئة خطأً كبيرًا.

دون أن ننسى أشدَّ أعداء الإسلام اليهودَ، الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ (سورة المائدة: 82)، فقد وَلجوا مجال الاستشراق بكثرة، بأسمائهم اليهودية، أو مستخفين بجنسية أوروبية أو نصرانية، مثل اليهودي "يوحنا الاشبيلي"[2] الذي ادّعى اعتناق المسيحية وأخفى يهوديته[3]، يقول زقزوق: "لم يُرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهودًا حتى لا يَعزلوا أنفسهم، وبالتالي يقِلُّ أثرهم، ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوروبيين، وبذلك كسبوا مرّتين: كسبوا أولًا فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلِّها، وكسبوا ثانيةً تحقيق أهدافهم من النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية النصارى"[4]، ومن أشهرهم "صموئيل زويمر" قال في مؤتمر القدس التبشيري سنة: 1935م: "ولكنّ مهمّة التبشير التي ندبتكم الدول

---

[1]) ألماني ولد في 1868م، تدرج في المراحل التعليمية، وتعلّم اللغات الشرقية والكلاسيكية، ودرس على يد "نولدكه"، له مؤلفات منها: "تاريخ الأدب العربي" و"تاريخ الشعوب الإسلامية" المليء بالمغالطات، حقّق مخطوطات منها: "تنقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار" لابن الجوزي، وله ترجمات إلى الألمانيّة منها: ديوان الشاعر لبيد إلى اللغة الألمانية، توفي في 1956م.

[2]) يوحنا بن داود، كان اسمه العبراني شلومو "سليمان" بن داود، ولد في 1100م بأسبانيا، تحوّل من اليهودية إلى النصرانية ادّعاء، كان يترجم الكتب من العربية إلى الإسبانية، وله ترجمات عديدة في الفلك والفلسفة والطب...توفي في 1180م

[3]) بدوي، المصدر السابق، ص: 631.

[4]) زقزوق، المصدر السابق، ص: 52.

المسيحيّة للقيام بها في البلاد المحمديّة، ليست في إدخال المسلمين في المسيحيّة، فإنّ في هذا هدايةً لهم وتكريمًا، وإنّما مهمّتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها"[1].

ثانيًا: أثر تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلامية

رأينا أنّ الغربيين ثبت لهم استحالةُ انتصارهم على المسلمين عسكريًا إلا بعد غزوهم ثقافيًّا، فإذا نجح الغزو الثقافيّ نجح الغزو العسكريّ، وقد استطاعوا بكل مكر ودهاء أن يُوجدوا لهم أبواقًا في الشرق الإسلامي تُروِّج بضاعتهم[2]، خاصة بعد تقدّم الغرب العلميّ والتكنلوجيّ الذي سبّب انبهار المسلمين بحضارتهم، فقلدوهم في التّافه من أمرهم، وهذا ما أخبر عنه النبيّ صلى الله عليه وسلم حيث قال: «لَتَتّبِعُنّ سَنَنَ الذين من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله آليهودُ والنصارى؟ قال: فمَن؟»[3].

ومن مظاهر آثار المستشرقين في العالم الإسلامي انحرافُ تيار من العلماء والمفكرين والسياسيين حتى العامةِ من أبناء المسلمين الذين تتلمذوا على أيديهم، فقالوا بقول المستشرقين أو أشدّ، ومن ذلك ما قاله خليل عبد الكريم الناصر[4]: "إنّ هذه الشريعة التي ينادون بها هي مجرد تعاليم كان يقول ويأخذ بها عرب الجاهلية، ثم جاء محمد فأخذ هذه التعاليم، وأعمل فيها عقله وفكره حتى بدت وكأنها شيء جديد"[5]، فالشريعة الإسلامية في معتقده ليست وحيًا، وإذا نظرنا إلى شخصيّة أخرى محمد أركون مثلًا، فإنّه يرى المسلمين يستهلكون القرآن في حياتهم اليوميّة، ولا يُخضعونه للدراسة والتفحّص العلميّ الحديث، وأنّ النصّ القرآني غنيٌّ ومنفتح على عدّة احتمالات[6]، وهذا عين عَلْمَنَة النص، ونزع القداسة عنه، ومعاملته كمنتج بشريٍّ خاضعٍ للنقد، وهذا غيض من فيض، وهؤلاء حقّقوا أمل "كرومر" وهو يُؤسّس كلية

---

[1]) نقلًا عن: جريشة، المصدر السابق، ص: 34-35.

[2]) انظر: جريشة، المصدر نفسه، ص: 24.

[3]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم: 2669.

[4]) له مؤلفات منها: "الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية" أثارت زوبعة في مصر لجرأته على القطعيات والثوابت الإسلامية.

[5]) خليل عبد الكريم، الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، الناشر: سينا للنشر مصر، الطبعة: الأولى، ص: 11.

[6]) انظر: محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، الناشر: مركز الإنماء القومي –مصر، الطبعة: الثانية، ص: 93.

فيكتوريا حيث قال: "بأنّ الهدف من هذه المدرسة وشبيهاتها تنشئةُ أجيال من أبناء المسلمين، يكونون جسراً بين الثقافة الغربية ومواطنيهم المسلمين"[1].

دون أن ننسى الآثار العالميّة، فقد اعتمدت هيئات عالمية كاليونسكو في كتابتها عن الإسلام على المستشرقين ومغالطاتهم، مما أثار مرّات حفيظة المسلمين لتُقْدم اليونسكو على التصحيح والاعتذار، وكذلك وسائل الإعلام فإنّها تعتمد في أغلب موادّها الإعلاميّة على المستشرقين[2].

ودون أن ننسى كذلك الآثار التنصيريّة التبشيريّة والاستعماريّة[3]، وعلى مستوانا المحليّ فقد كان للاستشراق والمستشرقين بالغُ الأثر، فهذا السعيد الزاهري يصف تلاميذ الجزائر الذين درسوا في المدارس الفرنسية في الجزائر: "بأنهم لا يصلون ولا يصومون ولا يتحدثون اللغة العربية فيما بينهم، ولا يؤمنون بأن القرآن الكريم وحي من الله"[4]، وقصة "ليون روش" مع الأمير عبد القادر، الذي ادَّعى اعتناق الإسلام وسمّى نفسه "الحاج عمر"، وكلّفه الجنرال بيجو الحاكم العسكري للجزائر بالسّفر إلى تونس ومصر والحجاز حاملًا فتوى تدعو الجزائريين لقبول الحكم الفرنسي، مقابل احترام دينهم وعاداتهم، ففي كتابه "اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام" قال: "وإني قد تمكّنت من إغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والإسكندرية ومكة ، فكتبوا إلى المسلمين في الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين"[5].

---

[1]) نقلًا عن: محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ص: 46.

[2]) انظر: زقزوق، المصدر السابق، ص: 50–55.

[3]) انظر: السباعي، المصدر السابق، ص: 21-23.

[4]) محمد السعيد الزاهري الجزائري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، الناشر: دار الكتب الجزائرية، دون تاريخ، ص: 108.

[5]) ليون روش، مذكرات "اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام"، ترجمة محمد خير محمود البقاعي، الناشر: جداول للنشر بيروت، 2011، ص: 09-14.

المطلب الثاني: نماذج من تشكيك المستشرقين في كلّيات الدّين

الفرع الأول: التشكيك في مصدريّة الإسلام

حاول المستشرقون ضرب العقيدة الإسلامية، وذلك بالتشكيك في مصدريّة الإسلام ذاته، لأنّ التشكيك في الإسلام تشكيكٌ في مضامينه، ومنها العقيدة الإسلاميّة، ومن هذه التشكيكات نموذجان:

التشكيك الأول

أنّ الإسلام ليس وحيًا، بل مقتبسٌ من اليهوديّة والنصرانيّة، وممن قال بهذا "مونتجمري وات" و"برنارد لويس"[1]، زعم يوحَنَّا الدمشقي: "أنّ الإسلام زندقة مسيحيَّة نسطوريّة الأصل والمضمون"[2]، وجاء في دائرة المعارف الإسلاميَّةِ: "وما من أحد يشكّ في تعدّد مصدر الأصول التي استقى محمّد منها معارفه، وكثيرًا ما جرى القول بتأثير اليهودية والنصرانية فيه"[3]، وهذا ما تؤكده موسوعة الحضارة الصادرة عن اليونسكو وتزيد: "الإسلام تركيب ملفّق من اليهوديّة والنصرانيّة ورواسب الوثنيّة"[4].

الرد على هذا التشكيك

قبل الرّد على أقوالهم نأخذ ردود بعض المنصفين منهم، قال "توماس كارلايل": "من العار أن يُصغي أيُّ إنسان متمدّنٍ من أبناء هذا الجيل إلى وَهْم القائلين: إنّ دين الإسلام كذب، وأنّ محمدًا لم يكن على حقّ، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي صلى الله عليه وسلم ظلّت سراجًا منيرًا أربعة عشر قرنًا من الزمان لملايين كثيرة من الناس، وما الرسالة التي أداها محمد صلى الله عليه وسلم إلا الصدق والحق"[5]، ثمَّ ثمَّ إنَّ تلك الأقوال ادّعاءات باطلة خالية من أيّ دليل مقنع، كما أنّ التشابه بين بعض المضامين

---

[1]) عبد اللطيف طيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ترجمة قاسم السامرائي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، عام: 1411هـ-1991م، ص: 10-13.

[2]) نقلًا عن: عرفان عبد الحميد، المستشرقون والإسلام، الناشر: المكتب الإسلامي –بيروت، الطبعة: الثالثة، عام: 1403هـ-1983م، ص: 111.

[3]) دائرة المعارف الإسلاميَّة، المجلد: 111، ص: 88.

[4]) نقلًا عن: محمد بن عبد الله السمّان، العقيدة وقضية الانحراف، مجلة الأُمَّة، الصادرة عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية – قطر، العدد: 30، جمادى الآخرة 1403هـ – مارس 1983م، ص: 25.

[5]) انظر: السباعي، المصدر السابق، ص: 35-36، وانظر: جريشة، المصدر السابق، ص: 25-24

الإسلاميّة وبين ما في اليهودية أو النصرانية معقول، لأنّهم جميعًا من حيث الأصل من مشكاة واحدة، لولا تحريف اليهود والنصارى[1]، ومع ذلك فإنّ عدم التشابه بين المضامين الإسلاميّة وبين ما في اليهودية أو النصرانية كثير جدًا، وهذا يدلّ على المفاصلة بين توحيد الإسلام وبين شرك اليهود والنصارى وتجسيد الله تعالى وتشبيهه بخلقه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة التوبة: 30-31)، فكيف يكونون سواءً وهم يختلفون في أصل العقيدة؟

التشكيك الثاني

أنّ الإسلام ليس دينا ربّانيًا، بل إبداع إنساني، وهذا الحكم يوشك أن يكون إجماعًا لديهم، وممّن قال بهذا الهولندي "رينهارت دوزي" (ت: 1883م) في كتابه "تاريخ الإسلام"، والألماني "فلهلم (ولهلم) رودلف" (ت: 1889م) في كتابه "صلة القرآن باليهودية والمسيحية"، والفرنسي "مكسيم رودنسون" في كتابه "محمد"[2]، قال "مونتجمري وات": "إنَّ الإسلام بعقيدتِه عبارة عن إبداع إنساني، ونِتاج بيئة من حيث الزمان والمكان"[3]، ولأجل ذلك دخلته الوثنيّة، وفي هذا الشأن قال "بروكلمان" أنّ محمدًا اعترف في السنوات الأولى بثلاث آلهة هنّ بنات الله، واستدلّ بقصّة الغرانيق الواردة في تفسير الطبريّ[4]، وذكر إدوارد سعيد أن المستشرقين ينظرون إلى الإسلام أنّ عقيدته وثنيةٌ، وأن المسلمين يعبدون ثلاثة آلهة[5].

---

[1]) انظر: طيباوي، المصدر نفسه، ص: 33.

[2]) انظر: زقزوق، المصدر السابق، ص: 22.

[3]) نقلًا عن: عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقديّة، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، عام: 1422هـ-2001م، ص: 54.

[4]) انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلاميّة، 1/ 43، نقلًا عن عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين، ص: 55.

[5]) انظر: إدوارد، المصدر السابق، ص: 91.

الرد على هذا التشكيك

وقبل الردّ عليهم ننقل ردًّا من منصفيهم، يقول "كلوداتيان سافاري": أسَّسَ[1] محمّد ديانة عالميّة تقوم على عقيدة بسيطة، لا تتضمن إلَّا ما يقرُّه العقل من إيمان بالإله الواحد، الذي يكافئ على الفضيلة، ويعاقب على الرذيلة، والغربي المتنور إن لم يعترف بنبوته، لا يستطيع إلَّا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهروا في التاريخ"[2]، أمّا ردنا عليهم، فإنّ زعمهم بنفي الرّبانية عن الإسلام مجرد تخمينات لا يعضدها دليل، فإنكارهم أن يوحي الله إلى النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم بدين، إن كان من حيث المبدأ، فهذا يستوجب كذلك إنكارَهم أن يوحي الله إلى موسى وعيسى وغيرهما عليهم السلام، فلا يهودية ولا نصرانية ولا غيرهما، فإذا أقررتم باليهودية والنصرانية وجب الإقرار بالإسلام، ووجب الإقرار بكل الأنبياء عليهم السلام ومنهم النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم، فالذي أوحى إليهم وهو القائل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (سورة النساء: 163)، أمّا إن كان الإنكار على الإسلام خارج المبدأ السابق فهو تَشَهٍ وتخيّرٌ، والخيرة لله سبحانه وتعالى القائل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة القصص: 68)، فاختار الله تعالى وقال: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (سورة الحج: 75)، وما وراء ذلك إلّا تخبّطات يُناقض بعضها بعضًا، فهذا يعزو الإسلام إلى اليهوديّة وذاك إلى النصرانيّة وآخر إلى تأمّلات النبيّ صلى الله عليه وسلم، والحقيقة أنّه وحي ربّانيّ من الله تعالى.

الفرع الثاني: التشكيك في القرآن الكريم

كما حاول المستشرقون ضرب العقيدة الإسلامية بالتشكيك في القرآن الكريم، لأنّ القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا، فالتشكيك فيه تشكيك في العقيدة، وإليكم نموذجين:

[1]) الأصحّ بلّغ

[2]) نقلًا عن: جريشة، المصدر السابق، ص: 24.

التشكيك الأول

أنّ القرآن الكريم ليس كلامَ الله تعالى ولا وحيًا، قال "تيودور نولدكه"[1]: "أنّ القرآن في معظمه من أصل يهوديّ، وسبب ذلك وجود جماعات من اليهود في يثرب، كما أنّ اليهود كانوا يتردّدون على مكة أيضا"[2].

وافقه "هاملتون جيب"[3] وإن خالفه في مصدره فيقول: "إنّه مجموعة الخطب الواردة على لسان محمد خلال العشرين سنة الأخيرة من حياته...كان النبيّ محمد يعتقد أنّ جميع هذه الآيات أوحيت إليه"[4]، ولإثبات هذه الأباطيل استدلوا بآيات من القرآن كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (سورة يونس: 94)، فقالوا إنّ محمدًا أُمر أن يسأل أهل الكتاب فسألهم فاستوحى أفكاره منهم.

الرد على هذا التشكيك

وقبل أن نرُدّ عليهم نَدَعُ بعض المستشرقين المنصفين يُكذِّبونهم، منهم "لورا فيشيا فاجليري (فاغليري)"[5] في كتابها "دفاع عن الإسلام" تقول: "الكتاب الذي قدّمه المسلمون إلى الشعوب المغلوبة

---

[1]) ألماني ولد في 1836م، أقبل بشغف على الاطلاع على الآداب الكلاسيكيّ، ودرس عدة لغات كالعربيّة والعبريّة والسريانيّة والآراميّة والسنسكريتيّة والفارسيّة والتركيّة، نال الدكتوراه برسالة "تاريخ القرآن"، ولدراسة المخطوطات رحل إلى فيينا وليدن...له مؤلفات منها: "في نحو العربيّة الفصحى" و"أبحاث عن علم اللغات السامية"، توفيّ في 25 ديسمبر سنة 1930.

[2]) تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر وآخرون، الناشر: جورج ألمز، هلدسهايم، زيورخ –المانيا، الطبعة: الرابعة، سنة: 2000، ص: 7-8.

[3]) اسكتلنديّ ولد في 1895 بمصر، عاد إلى اسكتلندا للتعلّم فتحصل على شهادات جامعية، تخلّلها مشاركته في الحرب العالمية الأولى، تعلّم الكلاسكيات واللغة العربية، ودرّسها، أطروحته جامعية هي: "الفتوحات العربية في آسيا الوسطى"، ومن مؤلفاته: "الاتجاهات الحديثة في الإسلام" و"المحمدية" و"دعوة تجديد الإسلام" و"حياة صلاح الدين"، توفي في 1974م.

[4]) هاميلتون جيب، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، تعريب: جماعة من الأساتذة الجامعيين، الناشر: المكتب التجاري للطباعة – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: 1961، ص: 30.

[5]) إيطالية، ولدت في 1893، درست التاريخ الإسلامي واللغة العربية وآدابها، عملت أستاذاً للغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي، من مؤلفاتها: "قواعد العربية"، و"دفاع عن الإسلام"، توفيت في 1989م.

كتاب الله، كلمة حق"[1]، وأمّا قول "نولدكه" و"جيب" وإن اتفقا أنّ القرآن ليس وحيًا، إلّا أنّهما اختلفا في مصدره، فإن صدّقنا أحدهما كذّبنا الآخر، فلا يمكننا إلّا أن نكذّبهما جميعًا، لقد بنوا دراستهم على وهميّات لا دليل عليها، أمّا استدلالهم بالقرآن الكريم فيكفي في الردّ عليهم، أن نَصِفهم بالضعف في فهم اللغة العربية وأسرارها البلاغيّة، فقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ﴾ خطاب موجّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُراد به المسلمون، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (سورة الأحزاب: 01) فالنبيّ صلى الله عليه وسلم كان متقيًا للهِ تعالى وما أطاع الكافرين ولا المنافقين، كما أنّ السؤال ليس بالضرورة أن يعني الاستفهام، وهنا يعني التأمل كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا...﴾ (سورة الزخرف: 45)، فهل يسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم الرسل السابقين، وقد ماتوا منذ آمادٍ بعيدة؟ والبديع أنّ القرآن الكريم ردّ على أسلاف المستشرقين المشككين من اليهود والمنافقين، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: 82)

التشكيك الثاني

وَصْفُ المستشرقين ألفاظَ وتراكيبَ القرآن الكريم بأوصافٍ مشينة، كقول "كارليل" بعد عجزه عن ترجمة القرآن الكريم: "إن القرآن الكريم كلام ركيك ثقيل على النفس، ولولا ما يُحتّمه الواجب العلمي على الدارس الأوربي ما استطاع صبرًا على قراءته"[2]، وممن طعن في ألفاظ وتراكيب القرآن الكريم "بلاشير" في كتابه "القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره"، وآرثر جيفري في مقدمة كتاب "المصاحف لأبي داود"، وطعن "ألفريد جيوام" في قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ أنّ موسى وهارون كانا قبل عيسى عليهم السلام بكثير، فكيف يكون هارون أخًا لمريم؟[3].

[1]) لورا فيشيا فاجليري، دفاع عن الإسلام، ترجمة منير البعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين –بيروت، الطبعة الخامسة، عام: 1981م، ص: 59.

[2]) مقدمة كتاب الأبطال، نقلًا عن: الدكتور عبد الجليل شلبي، كتاب الإسلام والمستشرقون، ص: 12.

[3]) انظر: شلبي، عبد الجليل، الإسلام والمستشرقون، ص: 12.

الرد على هذا التشكيك

قبل الردّ على هذا الهُراء، فقد ردّ عليهم بعضُ المستشرقين المنصفين وحتى غير المنصفين، مثل "آربري" في مقدمة ترجمته القرآنية، و"هاملتون جيب" في كتابه "الدّيانة المحمّدية"[1]، ومنهم "لورا فيشيا فاجليري" التي قالت: "إنّ معجزة الإسلام العظمى هي القرآن الذي تَنْقُلُ إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة من خلاله أنباءً تتّصِف بيقين مطلق، إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته..."[2]، أمّا الردّ على "كارليل"، فإنّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، التي تحدّى بها أئمة البلاغة والفصاحة من العرب فعجزوا، أيبدو في نظر هذا المستشرق ركيكًا؟ وكيف يُقال إنّه يفهم اللغة العربية؟ وكيف يؤخذ بما يستخلصه وهو لا يفهم اللغة العربية؟ هذا "كارليل" الذي يراه كثير من الباحثين مسالمًا للإسلام، لأنّه مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم في كتابه "الأبطال"[3]، فكيف بالمعادين؟ وأمّا طعن "ألفريد جيوام" في قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ فالطعن قديم، قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: لمّا قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلمّا قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك، فقال:«إنهم كانوا يتسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»[4].

الفرع الثالث: التشكيك في الأحاديث الشريفة

كما حاول المستشرقون ضرب العقيدة الإسلامية بالتشكيك في الأحاديث النبوية، لأنّها المصدر الثاني للإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا، والتشكيك فيها تشكيك في العقيدة، وإليكم نموذجين:

[1]) انظر: شلبي، المصدر نفسه، ص: 10.

[2]) لورا فيشيا فاجليري، دفاع عن الإسلام، ص: 56.

[3]) انظر: جريشة، المصدر السابق، ص: 25.

[4]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء، رقم: 2135

التشكيك الأول

الطعن في نسبة الأحاديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا "جوزيف شاخت" يفترض كذب كلِّ الرواة، فهي: "خارجُ نطاق الدّين"[1]، وهذ النّوع من التشكيك دأْبُ المستشرقين عموماً، وبأشكال مختلفة، ككون الحديث لم يُنقل إلّا شِفاهاً، وبعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وسلم بأزيد من قرن، مما يستوجب في نظرهم كثرة الوضع فيه، أو على الأقلّ عدم الثقة به"[2]، ومن أصحاب هذه المزاعم "بروكلمان" حيث يقول: "القِسم الأعظم من الحديث المتَّصل بسُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينشأ إلاَّ بعد قرنين من ظهور الإسلام، ومن هنا تعيَّن اصطناعه كمصدرٍ لعقيدة النبيِّ نفسِه"[3].

الرد على هذا التشكيك

وقبل ردّنا عليهم نفسح المجال للمستشرقين للرد عليهم، فهذا "غوستاف جرونبوم"[4] في كتابه: "الإسلام في العصور الوسطى" قال: "إن المثل الذي يجب الاقتداء به هو النبيّ محمد، ومن حيث أن القرآن لا يورد التعليمات التفصيليّة اللازمة لتطبيق نصوصه، كانت سنّة النبي محمد هي التي كانت تملأ الفراغ، وتحوي التفصيل اللّازم"، كما ذكر "آرثر ستانلي تريتون"[5] في كتابه: "الإسلام عقيدة وعمل": "يُعتبر محمد المثال الذي يجب أن يحذو حذوه المؤمنون، فالذين آمنوا بجدّ أرادو أن يعرفوا كلّ تفاصيل حياته حتّى يتسنّى لهم إتباعه، فالقوانين في القرآن لا تأتي التفاصيل الكافية لتنظيم الحياة في الدولة الاسلاميّة...ومن هنا جاء الاهتمام بتدوين الأحاديث وجمعها وتبويبها"[6]، أمّا ردنا على مزاعم

---

[1]) محمد مصطفى الأعظمي: شاخت والسنة النبوية، 1/ 68.

[2]) عبد القهار دواد العاني، الاستشراق والدراسات الإسلامية، الناشر: دار الفرقان –عمّان، سنة: 1421هـ، ص: 121.

[3]) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص: 74.

[4]) نمسويّ يهوديّ الأصل ولد في 1909، تعلم في مدارس فيينا وجامعتها، ثم في جامعة برلين، هاجر إلى أمريكا وتجنس بها واعتنق الكاثوليكية ودرّس في جامعاتها، له مؤلفات منها: "الإسلام في العصر الوسيط" و"مدى الواقع في الشعر العربي الأول" و"النموّ الأول للشعر الديني الإسلامي" والإسلام الحديث: البحث عن هوية حضارة"، توفي في 1972.

[5]) إنجليزي ولد في 1881م، له شهادتان جامعيتان في الإنجليزية وفي اللاهوت، درّس في لبنان واليمن والهند، ثم خَلَفَ "جيب" في لندن، له ستة كتب: "نشأة الأئمة في صنعاء" و"الخلفاء ورعاياهم غير المسلمين" و"علم نفسك العربية" و"علم العقائد الإسلامية" و"الإسلام: عقائد وممارسات" و"مواد تتعلق بالتربية الإسلامية في العصور الوسطى"، توفي في 1973.

[6]) محمد بهاء الدين، المستشرقون والقرآن الكريم، الناشر: دار النفائس –ماليزيا، الطبعة: الأولى، عام: 2014م، ص: 31.

المستشرقين، فإنّ الصحابة رضي الله عنهم حرصوا على نقل الحديث بكلّ أمانة، والتابعون دوّنوه زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله بكل دقّة، وما تأخّرُهم إلّا استجابة لنهي النبيّ صلى الله عليه وسلم حيث قال:«لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ»[1] مخافة أنْ يختلط بالقرآن، فتأخّرَ التدوينُ إلى نهاية القرن الأوَّل، وهذا لا يعني أنّ كتابة الحديث لم تكن طيلة هذا القرن، بل يُفيد أنه لم يُدوّن، أيْ: لم يُجمع في سفر واحد، ولمّا جمعوه جعلوا له شروطًا وقيودًا قاسية[2].

التشكيك الثاني

زعمُ المستشرقين أنَّ الحديث ليس وحيًا، وأنّه مُقتبس من اليهودية والنصرانية وغيرهما، يقول "كارل بروكلمان": "وتذهب الروايات إلى أنّه –محمد– اتَّصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أمَّا في مكة نفسها فلعله اتَّصل بجماعاتٍ من النصارى"[3]، ويؤيّده "ريتشارد بل"[4]: "ولكنّ الجانب الأكبر من المادّة التي استعملها محمد ليفسّر تعاليمه ويدعمها، قد استمدَّه من مصادرَ يهوديةٍ ونصرانية"[5]، بل يزعم "بروكلمان" تأثّر النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى بالفرس يقول: "ثم جَعلت الطقوسُ المتأخرة المتأثرة بالفرس عددَ الصلوات في اليوم خمساً"[6]، والأكثر من ذلك يدّعون أن أصل أحاديث النبيِّ صلى الله عليه وسلم عاداتٌ وتقاليد موروثة من المجتمع العربي الجاهلي عُدِّلت ثمّ قُدِّمت على أنّها سُنَّة، وبهذا فهم يختلفون في افتراص مصادر الحديث، رغم أنّهم يتّفقون على أنّه ليس وحيًا.

---

[1]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم، رقم: 3004.

[2]) انظر: عبد المهدي عبد الهادي، السنة النبوية، مكانتها عوامل بقائها تدوينها، الناشر: دار الاعتصام، ص: 97.

[3]) نقلًا عن: غيثان علي جريس، افتراءات المستشرق "كارل بروكلمان" على السيرة النبوية، الطبعة: الرابعة، عام: 1418هـ، ص: 22-23.

[4]) بريطانيّ ولد في 1876م بإدنبرة، تدرّج في التعلّم إلى جامعاتها ثمّ عمل أستاذًا للغة العربية بها، اشتهر برجاحة العقل ورحابة الصدر، دَرَس القرآن والحديث، وله دراسات منها: أسلوب القرآن، والمتشابه في القرآن، وأهل الأعراف، ومحمد والرسل السابقون...توفي في 1952م.

[5]) نقلًا عن: زقزوق، المصدر السابق، ص: 102.

[6]) بروكلمان، المصدر السابق، ص: 73.

الرد على هذا التشكيك

إنّ المزاعم التي أوردها المستشرقون باطلة، إذ لو كانت الأحاديث مقتبسة من مصادر يهودية ونصرانية، لَمَا جاء في القرآن الكريم ولا في الأحاديث الشريفة الأمرُ بمخالفتهم، وتضليلهم، وعدم موالاتهم، ناهيك عن زعمهم أنّه من مصادر جاهلية وثنيّة، أو من مصادر مجوسيّة فارسيّة، فالنكران عليهما أشدّ من النكران على أهل الكتاب، ثمّ إنَّ زعم المستشرقين أنَّ الحديث نشأ نتيجةً "للتطور الدّينيّ" أو "للجدل الدّينيّ" في القرون الهجريّة الأُولى افتراءُ باطل، لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لم يتوفَّ حتّى بلّغ الرسالة، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (سورة المائدة: 3)، فالحديث نصٌّ ثابت لم يَطرأ عليه تطوُّر، أمّا التطوّر الذي حدث بعد عهد الرسالة فقد كان في القصايا الاجتهادية، وفي بعض الفروع الحادثة التي لم يكن لها نص في القرآن والسنة، فهي فقه وليست حديثًا، والخلط بينهما خطأ فاحش[1].

المطلب الثالث: نماذج من تشكيك المستشرقين في مسائل في العقيدة الإسلامية

الفرع الأول: التشكيك في الألوهيّات

التشكيك الأول

نَفْيُ التوحيدِ عن معتقد المسلمين، والتوحيد أساس الألوهيّات بل أساسُ العقيدة الإسلاميّة، قال "كارل بروكلمان": "وفي وسط مكّة تقوم الكعبة، وهي بناء ذو أربع زوايا، يحتضن في إحداها الحجر الأسود، ولعلّه أقدم وثن عُبد في تلك الديار"[2]، وقال عن الحجر الأسود: "وعندما بلغ محمد الكعبة طاف بها سبعًا على راحلته، لامسًا الحجر الأسود بعصاه في كل مرّة، وبذلك ضم هذا الطقس الوثنيّ إلى دينه"[3]، فالحجر الأسود عند "بروكلمان" أقدم وثن عُبد، واستلام النبيّ صلى الله عليه وسلم له هو

[1]) انظر: فالح بن محمد بن فالح الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص: 41، 49.

[2]) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلاميَّة، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين –بيروت، الطبعة: العاشرة، سنة: 1984م، ص: 31.

[3]) بروكلمان، المصدر نفسه، ص: 61.

طقس وثنيّ، وفي موسوعة الحضارة: "الإسلام تركيب ملفّق من اليهودية والنصرانية ورواسب الوثنية"[1]، فبالإضافة إلى الدّيانتين السابقتين ضَمّ الإسلام إليه رواسب الوثنيّة.

الرد على هذا التشكيك

قبل الردّ على مزاعمهم الباطلة، ننظر إلى ردّ بعض المنصفين منهم، مثل "كلوداتيان سافاري" الذي قال: "أسّسَ محمد ديانة عالميّة، تقوم على عقيدة بسيطة، لا تتضمن إلَّا ما يقرّه العقل من إيمان بالإله الواحد"[2]، ويقول "هنري دي كاستري": "أمَّا فكرة التوحيد، فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصلَ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من مطالعة التوراة والإنجيل...وظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو: أعظم مظهر في حياته، وهو بذاته أكبر دليل على صدق رسالته وأمانة نبوّته، ولعل هذا البرهان من أوضح الأدلّة على أنّ الإسلام وحي من الله، فإنَّ مفهوم التوحيد الإسلامي، عقيدة تميَّز بها الإسلام عن غيره"[3]، وحتى الذين أرضعتهم الاستشراقيّة ألبان الحقد على الإسلام ما إن عرفوا الحق حتى اتبعوه، فهذا "ناجيمو راموني"[4] يقول: "لم يكن لي خيارٌ من المقارنة بين توحيد الله في التصوُّر القرآني وبين اعتقادي في الثالوث كمسيحي...ومن هنا بدأتُ أفقِد الثِّقة في الديانة المسيحيَّة"[5]، وقال "بيجي رودريك"[6]: "لم يَمضِ وقت طويل حتى أيقنتُ أنَّ هذا الدّين –الإسلام– هو الدّين الحقُّ بالمقارنة بكافَّة الأديان الأخرى، كما أيقنتُ أنَّ الاعتقاد الإسلامي بوحدانيَّة الله أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث"، أمَّا الردّ على أقوال المستشرقين، فإنّ الحجر الأسود وإن عظّمه أهل الجاهليَّة، لم يتخذوه إلها، ولم يعبدوه، فكيف يتخذه الموحّد إلها[7]؟ وتقبيله هو عبادة لله تعالى وليس عبادة له...

---

[1]) نقلًا عن: السمان، المصدر السابق، ص: 25.

[2]) جريشة، المصدر السابق، ص: 24.

[3]) نقلًا عن: نذير حمدان، الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين، ص: 71.

[4]) من غانا بإفريقيا الغربية، أبواه نصرانيان يَعملان في كنيسة، تلقَّى تعليمه في المدارس التبشيريَّة، أسلَم عام: 1963م.

[5]) نقلًا عن: الدكتور عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ص: 45.

[6]) هندي الأصل، تلقَّى التعليم على يد التَّبشيريين، أسْلم في أيَّام الاستعمار البريطاني للهند.

[7]) شوقي أبو خليل، كارل بروكلمان، ص: 31.

التشكيك الثاني

تشويه صفات الله تعالى في معتقد المسلمين، بأنّها مخيفة كما قال "نيكولسن": "الإله عند المسلمين جبَّار، مخوِّف، لا تُكِنُّ له القلوبُ إلا الوَجَلَ والاستسلام، بخلاف النصرانيَّة"[1]، و أنّها مقتبسة من الغير، يقول "فنسنك": إن مفهوم المسلمين للإله يلتقي في نقاط عديدة مع وصف يوحنا الدمشقي وشرحه للذات الإلهية[2]، ولدائرة المعارف الإسلاميَّة أحكام متنوعة على صفات الله تعالى عند المسلمين، فمنها: "أنّ لزوم السجع حملت النبيّ محمد على وصف الله بعدّة صفات...وهي تعبير عن حقيقة إله النبيّ محمد، لكنّها عبارات مبعثرة ومتناقضة، أما أسماء الله فتبدو لأوّل وهلة خليطًا غريبًا من الألفاظ الدالة على التجسيم، والعبارات الميتافيزقيّة"، ومنها: "وقد استطاع النبي محمد اختلاق صفات بفضل خياله المتوقّد، مثل: الأول والآخر والظاهر والباطن..."، أو: "ذَكَرَ النبيّ محمد صفات لربه دون دراية معناها"، أو: "صفات أخرى جذرها نصرانيّ، مثل: البرّ والنور..."، أمّا: "صفتا الرحمن والرحيم بهذه الصيغة فقد أخذهما عن جنوب البلاد العربيّة"، و: "بعض الصفات في ذات الله تدلّ على الذمّ إذا أطلقت على غيره مثل: المتكبّر والجبّار..."، و"بعضها متناقضة مثل: المعزّ المذلّ، والقابض الباسط..."[3].

الرد على هذا التشكيك

أمّا الردّ على "نيكولسن": "أنّ إله المسلمين جبَّار مخوِّف، لا تُكنُّ له القلوبُ إلا الوَجَلَ والاستسلام"، فهو جهل بصفات الله تعالى في عقيدة الإسلام والمسلمين، فصفات الله تعالى عندهم صفات جلال وجمال وكلاهما كمال، أمّا صفات الجلال فتُثير الرّهَبَ، وصفات جمال تُثير الرّغَبَ، والمسلم يعبد الله تعالى رغبًا ورهبًا، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ (سورة الأنبياء: 90)، وصفات الله تعالى في العقيدة الإسلاميّة مأخوذة من القرآن والسنّة كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (سورة البقرة: 255)، ومن مواضع كثيرة من القرآن والسنّة، أمّا ما أوردته دائرة المعارف الإسلاميَّة، فلزوم السّجع لا يخلّ بالمعنى البتّة، والعرب قديمًا يتكلّمون بالسّجع في كل القضايا، ويحقّقون أغراضها، أمّا بعثرة

---

[1]) الغزالي، المصدر السابق، ص: 18.

[2]) أراند جان فنسنك، العقيدة والشريعة في الإسلام، نقلًا عن عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين، ص: 56.

[3]) دائرة المعارف الإسلاميَّة، 2/ 561-566، نقلًا عن: عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين، ص: 56-57.

وتناقض الصفات والدلالة على التجسيم، واختلاق صفات بفضل خياله المتوقّد...فأحكام بلا أدلّة لا قيمة لها، وأمّا: اسما "الرحمن" و"الرحيم" فلم يؤخذا عن البلاد العربيّة ولا غيرها، بل هما من خصائص هذا الدّين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ...﴾ (سورة الفرقان: 60).

الفرع الثاني التشكيك في النبوّات

الطعن في النبيّ صلى الله عليه وسلم وفي نبوّته طعن في الوحي وتشكيك في العقيدة والإسلام، لذلك ركّز عليه المستشرقون، مثلما ركّز عليه كفّار قريش حينما نعتوه بالجنون والسحر[1].

التشكيك الأول

طعْنُ المستشرقين في شخص النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومن وهؤلاء "تيودور نولدكه" أنَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كانت تنتابه نوبات عنيفة جعلته يظن أنه تحت تأثيرٍ إلهي، ويظن أنه يتلقَّى وحيًا[2]، وبمثله قال "هنري ماسيه": "وهناك بعض المؤرخين –والبيزنطيون منهم على الخصوص– تحدَّثوا عن الصرع الذي يمكن أن يكون محمد مصابًا به، ومن المعلوم في القرون الوسطى في الشرق كما في الغرب أنَّ هؤلاء المرضى كانوا يتخيَّلون كأنَّ روحًا تمتلكهم، وقد أصبحت النوبات عند محمدٍ مألوفة كثيرًا ابتداء من الوحي الأوَّل الذي حدث في شهر رمضان"[3]، ومن النوبات إلى الصرع ثمّ الهوَس يقول "غوستاف لوبون": "ويجب عدُّ محمدٍ من فصيلة المتهوِّسين من الناحية العلمية كما هو واضح"[4].

الرد على هذا التشكيك

وقبل الرد على أقوال هؤلاء المستشرقين ننظر إلى رد بعضٍ منهم "إ. س. تريتون" في كتابه: "الإسلام عقيدة وعمل" حيث يقول: "يُعتبر محمد المِثال الذي يجب أن يحذو حذوه المؤمنون، فالذين آمنوا بجِدٍّ

---

[1]) انظر: فالح بن محمد بن فالح الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، ص: 20.

[2]) انظر: إبراهيم خليفة عبد اللطيف، شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها، المؤتمر الدولي الثاني: المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية – مصر، سنة: 1427هـ-2006م، ص: 7، 12، 17.

[3]) علي علي شاهين، دراسات في الاستشراق ورد شبه المستشرقين حول الإسلام، ص: 124-125.

[4]) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ص: 114.

أرادو أن يعرفوا كل تفاصيل حياته حتى يتسنى لهم إتباعه..."[1]، وأمّا زعمهم أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان تأتيه نوبات من الإغماء، أو كان مصابًا بحالاتٍ من الصرع، يغيب فيها عن الناس فإذا أفاق زعم أنه أُوحي إليه، هذا زعم باطل لأنّه عارٍ عن أيّ دليل وبرهان، إلّا ما أشار إليه "هنري ماسيه" أنّ بعض المؤرخين وخاصة البيزنطيين تحدَّثوا عن هذا الصرع، فأين تحدَّثوا عن هذا؟ و"غوستاف لوبون" الذي يُعَدّ من المنصفين يقول: "ويجب عدُّ محمدٍ من فصيلة المتهوِّسين"، فبعد هذا هل هو من المنصفين؟

التشكيك الثاني

تشكيك في نبوّة النبيّ صلى الله عليه وسلم وتكذيبِها، وهي صورة عامّة عند المستشرقين، نقلها إدوارد عن "نورمان دانيال" في كتابه "الإسلام والغرب" أنّ الغرب ينظر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه نبيُّ الوحي الكاذب[2]، وأنّه استلهم أفكاره من أهل الكتاب، يقول "بروكلمان": "وتأثرت اتجاهات النبيّ الدينية في الأيام الأُولى من مقامه في المدينة بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود"[3]، ويشبهه قول "واشنطن إرفنج": "عاد محمد إلى مكة، وقد تأثَّر خياله بالقصص والروايات التي سمعها في الصحراء، وبأحاديث ذلك الراهب النسطوري"، ويقول أيضًا: "ويرجع له الفضل –يعني ورقة– في ترجمة بعض أجزاء الكتب السماوية إلى اللغة العربية، ولا شك أنَّ محمدًا قد اطَّلع عليها واستفاد مما جاء فيها"[4].

الرد على هذا التشكيك

وقبل الردّ على تشكيكاتهم نورد تصريحًا خطيرًا للمستشرق "نومانن دانيال" يبيِّن فيه أسباب التشكيك في النبوّة يقول: "لقد بدا لأولئك الأكثر اهتمامًا أنَّ الهجوم المسيحي يجب أنْ يوجَّه بمجمله إلى تعرية محمد، فإذا أمكن إظهاره على حقيقته، أي تجريده من صفات النبوة، فإنَّ ذلك سيؤدِّي إلى انهيار صرح الإسلام كله"[5]، ولهذا فهم يشكّكون بحجة أو بغير حجة، وكالعادة يتخبّطون في مصدر

[1]) محمد بهاء الدين، المستشرقون والقرآن الكريم، ص31-32.

[2]) انظر إدوارد، المصدر السابق، ص: 62.

[3]) بركلمان، المصدر السابق، ص: 46-47.

[4]) واشنطن إرفنج، محمد وخلفائه، الناشر: المركز الثقافي العربي، سنة: 1999م، ص: 48، 56.

[5]) نومانن دانيل، الإسلام والغرب، ص: 52.

الإلهام فلا يستقيمون على رأي واحد، ويضرب بعضهم رأي بعض ككل معادٍ للإسلام، قال الله تعالى عنهم: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ (سورة الأنبياء: 05)، وفي مجمل إنكار النبوّة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة الفرقان: 4-6).

الفرع الثالث: التشكيك في السّمعيات

التشكيك الأول

التشكيك في الإيمان بالملائكة في معتقد المسلمين، وذلك بزعمهم أنّ العقيدة الإسلاميّة لم تقرّر الإيمان بالملائكة وحيًا، بل هو موروث جاهليّ وآثار أهل الكتاب، وهذا طعن في العقيدة الإسلاميّة وفي الإسلام، فالمستشرق "سورديل" ادّعى أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أخذ مفهوم الملائكة وما لهم من أعمال من التقاليد الخالية التي كانت سائدة آنذاك[1]، وأيّده "ماكدونالد" وزاد عليه قوله: "فلم يكن له مفرّ من التسليم بهم"[2]، بل يرى "هنري ماسِيه" أنّ الإسلام أخذ هذه العقائد من اليهود[3].

الرد على هذا التشكيك

وللرّد على دعواهم أنّ الإيمان بالملائكة لم يثبت وحيًا، يكفينا أنّهم لم يوردوا أيّ دليل على دعواهم، ولم يتّفقوا على رأي واحد، بل تضاربوا ما بين مدّعٍ أنّها من موروثات الجاهليّة، وبين مدّعٍ أنّها من آثار اليهود، أمّا أهل الجاهليّة فمتى كان لهم دين؟ ومتى كانت لهم عقيدة؟ وما علمهم بالملائكة؟ حتّى يصدّروا علمهم للغير، وأمّا اليهود ففريق منهم لا يؤمن بالملائكة، وفريق يؤمن إيمانًا محشوًّا بالخرافات[4]، ومن بلاياهم أنّهم يعادون جبريل عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى

---

[1]) دراسات شرقيّة وحضاريّة، ص: 155، عن عبد المنعم فؤاد، المصدر السابق، ص: 111.

[2]) دائرة المعارف الإسلاميّة، 2/ 568، عن عبد المنعم فؤاد، المصدر نفسه، ص: 112.

[3]) هنري ماسِيه، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، 141، عن عبد المنعم فؤاد، المصدر نفسه، ص: 112.

[4]) انظر: دراسة في الأديان الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد بن عبد الوهاب، الناشر: مكتبة وهبة –القاهرة، الطبعة: الأولى، عام: 1399هـ-1979م، ص: 20-47.

قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة: 97)، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلا نبيّ...فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«خبّرني بهنّ آنفًا جبريل"، قال: فقال عبد الله: ذاك عدوّ اليهود من الملائكة...» [1].

التشكيك الثاني

التشكيك في الإيمان باليوم الآخر في معتقد المسلمين، وذلك بزعمهم أنّ العقيدة الإسلاميّة أخذت الإيمان باليوم الآخر من اليهود والنصارى والفرس لا من الوحي، يرى "هنري ماسِيه" أنّ الإسلام أخذ من النصرانيّة مسألة عذاب القبر، ومن اليهود والنصارى مسألة الجنّة وأنهارها...، ومن الفرس الفردوس... [2]، وقال "كارا ديفو": "إنّ النبيّ محمد استعار كلمة "جهنم" من اللفظ العبري "جيهنوم" وهو وادٍ بالقرب من بيت المقدس كانت تقدّم له القرابين"[3]، ويعيبون على الإسلام الوعظ باليوم الآخر على أنّه إفراط في الجانب الحسّيّ من الجنّة والنّار، ففي دائرة المعارف الإسلاميّة: "أنّ الدّين الإسلاميّ قد أفرط في التّصوير الحسّيّ للجنّة والنّار مما أدّى إغواء المستمعين"[4].

الرد على هذا التشكيك

وللرّد على دعواهم بأنّ الإيمان باليوم الآخر في العقيدة الإسلاميّة مأخوذ من اليهوديّة والنصرانيّة، ففي شقّ منه مقبول لأنّ الإيمان باليوم الآخر موجود في كل الديانات السّماوية، فإذا وقع تشابه أو تطابق فليس ثمّة حرجٌ فيما لم يحرّفوه، أمّا الشقّ المرفوض فإنّه الذي حرّفوه وابتدعوه، لذلك فالإيمان باليوم الآخر في العقيدة الإسلاميّة يختلف اختلافًا جذريًّا وفرعيًّا عن الإيمان باليوم الآخر في عقائد اليهود والنصارى[5]، ولليهود والنصارى مزاعمُ أخرى خلطوها بالإيمان باليوم الآخر، منها أن الجنّة محصورةٌ لهم،

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم، رقم: 3329.

[2]) هنري ماسِيه، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، 144-148، عن عبد المنعم فؤاد، المصدر السابق، ص: 226.

[3]) دائرة المعارف الإسلاميّة، 13/ 4، عن عبد المنعم فؤاد، المصدر نفسه، ص: 226.

[4]) دائرة المعارف الإسلاميّة، 12/ 612، عن عبد المنعم فؤاد، المصدر نفسه، ص: 226.

[5]) فرج الله عبد الباري، يوم القيامة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر -المنصورة، الطبعة: الأولى، عام: 1411هـ، 1991م، ص: 54.

كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة البقرة: 111)، ومنها أنّ النار لن تمسّهم إلا أيامًا معدودة، قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: 80)، وفي الآيتين فضحهم الله عزّ وجلّ بالتّقوّل الكاذب فهذا دأبهم.

الفصل الثالث

(دراسة تطبيقيّة)

تشكيك جولد تسيهر

في

العقيدة الإسلامية

المبحث الأول: التعرّف على جولد تسيهر

المطلب الأول: ترجمة جولد تسيهر

الفرع الأول: حياته الشخصيّة:

هو المستشرق المجري[1] "إجناس جولد تسيهر" "Ignác Goldziher"، اختُلف في نطق وكتابة اسمه، فالشّق الأول "إجناس" أو "إجناتس" وبالفرنسيّة "إينياس" وبالألمانيّة "إغناتس"[2]، أمّا الشّقّ الثاني "جولد"[3] أو "كولد"، والشّقّ الثالث وهو "تسيهر" وهو الأغلب، أو "زيهر" و "تزيهر" وفي النادر "صيهر"، أمّا ما كتبه هو بنفسه[4] بالعربية "إجناس كولد صيهر"، ويعود سبب الاختلاف في نطق وكتابة اسمه إلى الترجمة من اللغات اللاتينيّة إلى اللغة العربيّة، والذي نَسير عليه هو "إجناس جولد تسيهر"، هو من أسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير، ولد في: 1850/06/22م بمدينة اشتولفيسنبرج بالمجر، وتوفي في 1921/11/13م بودابست بالمجر، بسبب إصابته بالتهاب رئويّ، بعد عام من صدور كتاب "مذاهب التفسير الإسلاميّ"[5].

الفرع الثاني: حياته العلميّة

أمضى جولد تسهير السنين الأولى من عمره في بودابست عاصمة المجر، وبها تدرّج في أطوارها التعليميّة، ومنها ارتحل إلى جامعة لايدن ببرلين سنة 1869م بدعم من وزير الثقافة المجري، فظل بها سنة، ثم انتقل إلى جامعة "ليبتسك"، حيث لقي أستاذه في الدراسات الشرقية "فليشر"[6]، وعلى يديْه تحصّل

---

[1]) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الثالثة، السنة: 1993م، ص: 189، ونجيب العقيقي، المستشرقون، الناشر: دار المعارف –مصر، السنة: 1964م، 2/ 906.

[2]) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين –بيروت، الطبعة: الأولى، السنة: 1992م، 1/ 14.

[3]) وهو الذهب، لأنّ أسرته توارثت صياغة الذهب منذ القرن 16م، انظر: دراسات محمديّة، جولد تسيهر، ترجمة: الدكتور الصّدّيق بشير نصر، عن مركز العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق –لندن، الطبعة: الثانية، سنة: 2009م، ص: 380.

[4]) هناك نسخة من تهنئته للمسلمين بأحد عيديهم في الويكيبيديا.

[5]) يوهان فوك، تاريخ الحركة الاستشراقيّة، ترجمة: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلاميّ، ليبيا، ط/2، 2000م، ص: 243.

[6]) فليشر: مستشرق ألماني اختص باللغة العربية نحوها وصرفها، أسس مدرسة الاستشراق الألماني في ليبتسك، وتأثّر به جولد تسيهر، انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: 403.

جولد على الدكتوراه الأولى سنة 1870م، وكانت رسالته عن العالم اليهوديّ "تنخوم أورشلمي"[1]، وقيل أنّه تحصّل على الدكتوراه الأولى سنة 1868م وعمره أقل من 19 سنة؟[2]، ثم عاد إلى بودابست وعُيّن مدرسًا مساعداً في جامعتها سنة 1872م، ليصبح بذلك أولَ أستاذ يهودي بها، ولكنه لم يستمرّ في التدريس بها طويلا، لأنّ وزارة المعارف المجرية أرسلته في بعثة دراسية إلى الخارج، فاشتغل في فيينا ثمّ في لندن، ولم يلبث بهما سنةً ليرتحل إلى الشرق من سبتمبر سنة 1873م إلى أفريل سنة 1874م مقيمًا في القاهرة، استطاع خلالها أن يحضر كثيرًا من دروس الأزهر لكثير من شيوخها، منهم الشيخ محمد عبده، بعد ذلك شدّ رحلّه إلى سوريا وتعرّف على الشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدة، ومنها إلى فلسطين[3].

ومنذ أن لقي أستاذه "فليشر" وتحصّل على الدكتوراه الأولى وعُيّن أستاذًا بجامعة بودابست أصبحت همّته عالية، وعنايتُه باللغة العربية عامة وبالعلوم الإسلامية خاصة في تزايد مستمر، حتى حقّق بهما شهرة كبيرة في وطنه، جعلته يُنتخب عضوا مراسلًا للأكاديمية المجرية سنة 1871م، ثم عضوًا عاملا في سنة 1872م، ثم رئيسًا لأحد أقسامها سنة 1907م، كما أنّه عُيِّن أستاذا للغات السامية في سنة 1894م بجامعة بودابست، ومنذ ذلك الوقت وهو لا يكاد يغادر وطنه، بل ولا مدينة بودابست إلا ليشترك في مؤتمرات المستشرقين، أو ليلقي محاضرات في جامعات أجنبية استجابة لدعاوتهم، وقيل كذلك لأنّه عُيّن أمين سرّ الجماعة الإسرائيليّة في بودابست من 1875م إلى 1905، فإنّه لم يغادرها إلّا لمًا، رغم تلقيه عروضًا مغريةً من جامعات عالميّة كجامعتيْ "القاهرة" و"كمبريدج"، ومن مسؤولين رفيعي المستوى[4]، وخلال مشواره الحافل بالمحطّات العلميّة، فقد نال لقب دكتوراه فخريّة من جامعتي "أدنبر" و"كمبريدج"، مما شجّعه على مزيد من الاعتكاف في مكتبة بودابست، لأكثر من ربع قرن يحقّق في مباحث إسلامية[5]، وفي سنة 1897م قدّم اقتراحًا لإنشاء "دائرة معارف للعلوم الإسلاميّة"[6].

---

[1]) تنخوم أورشلمي عاش في العصور الوسطى وشَرَح التوراة، انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: 198.

[2]) انظر: جولد تسيهر، دراسات محمديّة، ص: 381.

[3]) انظر: العقيقي، المصدر السابق، 906/2، وانظر: الزركلي، المصدر السابق، ص: 1980.

[4]) انظر: جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 398.

[5]) انظر: العقيقي، المصدر نفسه، 906/2، وانظر: بدوي، المصدر السابق، ص: 189.

[6]) انظر: جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 385.

المطلب الثاني أهم مؤلفاته:

أفنى جولد تسيهر معظم عمره في البحث والدراسة مخلفا وراءه إرثًا كبيرًا، فقد بدأ الكتابة ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، كتب بحثاً عن الصلاة وتقسيمها وأوقاتها، ثم أتّجه إلى الدراسات الشرقيّة ولا يزال في سنٍّ متقدّمة، ففي سنّ السادسة عشرة ترجم قصّتين من اللغة التركية إلى اللغة المجرية، نشرتهما له إحدى المجلات، وضعهما رئيس تحريرها بعنوان "مستشرق في السادسة عشرة"، ومنذ سنة 1866م كان يكتب بحثاً أو أكثر في كل سنة، ما بين بحث ضخم قد يتجاوز حجمه أربعمائة صفحة، وبين مقالات متوسطة الحجم تتراوح صفحاتها بين العشرين والستين، وتعليقات صغيرة وبحوث نقدية أو تعريفاً بالكتب التي تظهر باستمرار، حتى بلغ مجموع أبحاثه ومؤلفاته ما يقارب 592 بحثًا[1] في مختلف اهتماماته، وكان جُلّ اهتماماته عن الدراسات الإسلامية، والتي كانت مليئة بالمغالطات، أغلبها متعمّدة، لتشويه الإسلام والتشكيك فيه، أهمّها:

أولاً: الظاهريّة مذهبهم وتاريخهم: وهو أوّل بحوثه في الدراسات الإسلاميّة، ظهر سنة 1884 وفيه دراسة عامّة عن الفقه وأصوله وأطواره ومراحل نموه، ودراسة تفصيليّة عن المذهب الظاهري، وقد قارن بين أصول المذهب الظاهري وأصول المذاهب الفقهية الأخر، مبيّنًا مواضع الاتفاق الاختلاف بينهما، ثمّ تحدّث عن الصّلة بين هذه المذاهب وبين المذهب الظاهري، والصلة بين أئمة الفريقين، ثم عن امتداد أصول الظاهرية من البحوث الفقهية إلى البحوث الكلامية، وتطبيق هذه الأصول في العقائد الدينيّة على يد ابن حزم، والاتجاهات التي أخذها هذا المنحى، وتطوراته حتى وصل إلى القرن الثامن والتاسع الهجري[2]، هذا الكتاب وإن برزت أهميّة بعض مضامينه، لاعتمده على مصادر مخطوطة لم تحقّق ولم تطبع آنذاك، إلّا أنّ بليّته في المغزى من دراسة مذهب اندرس ولم يَعد له أتباع.

ثانيًا: دراسات إسلامية أو "دراسات محمديّة": ويتألف من جزئين، صدر الجزء الأول سنة 1889م والجزء الثاني سنة 1890م، ففي الجزء الأول: تحدث جولد عن "صراع الوثنية والإسلام والذي انتهى بهزيمة الروح الوثنية الجاهلية الارستقراطية، وانتصار الروح الإسلامية الديمقراطية، وكانت الوثنية في المرحلة الأولى

---

[1]) انظر: بدوي، المصدر السابق، ص: 201، والعقيقي، المصدر السابق، 2/ 906، وعبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، الطبعة: الرابعة، عام: 1980، ص: 312-313.

[2]) انظر: بدوي، التراث اليوناني، ص: 313-314، وانظر: جولد تسيهر، دراسات محمديّة، ص: 385.

عرب الجاهليّة، وفي المرحلة الثانية الفرس، وفي الجزء الثاني: وهو الجزء الأهمّ والأخطر تحدث في نصفه الأول عن عِلم الحديث، وقد حاول جولد إعطاء صورة عن تاريخ الحديث وتطوره، وأن قيمته لم تأتِ باعتبار حقائقه، وإنما باعتبار صراع الاتجاهات السياسية خاصّة والدينيّة عامة التي وُجدت في العالم الإسلاميّ على مَرِّ العصور، والتي أثّرت فيه وجودًا وعدمًا أو تحولاً وصيرورةً، وفي القسم الثاني منه تحدث عن تاريخ تقديس الأولياء في الإسلام، والصّلة بين هذه التصورات الشعبية وبين التصوّرات الوثنية الجاهلية[1]، والكتاب مليء بالتشكيكات العقديّة على سبيل افتراضات و افتراءات تاريخيّة.

ثالثاً: الإسلام والدّين الفارسي: وهو بحث ألقاه في المؤتمر الدولي الأوّل للأديان الذي انعقد في باريس سنة 1900م ونشر في مجلة "تاريخ الأديان"، ويكشف فيه عن تأثُّر الدّين الإسلاميّ في عهده الأوّل بالدّيانة الفارسية[2]، وفيه تضليلات منهجيّة، سببها البون التاريخيّ والجغرافيّ، والمفاصلة البيِّنة بين الإسلام وديانة الفرس.

رابعًا: محاضرات في الإسلام: طبع لأول مرة في مدينة هيدلبرج سنة 1960، وقد تُرجم إلى العربية باسم "العقيدة والشريعة في الإسلام"، وهو مجموعة محاضرات عن الإسلام، ألقاها أمام اللجنة الأمريكية للمحاضرات في تاريخ الأديان، تحدّث فيها عن جوانب مختلفة، ففي الفصل الأول تحدّث عن النبيّ محمد صلى الله عليه وسلّم أنّه لم يأتِ بجديد، وتحدّث عن الإسلام، وأن نموّه مصطبغ بالآراء الهندية والأفلاطونية إلى جانب الآراء اليهودية والمسيحية[3]، وتحدث في الفصل الثاني عن الفقه وتطوره، وأن الإسلام لم يتمّ، بل أُكمِل الفقه الإسلاميّ بما تأثر به من القانون الروماني وبما تطرق إلى السنّة النبويّة من حديث[4]، وفي الفصل الثالث تحدث عن تطوّر العقيدة وعلم الكلام ومسائلهما، وعن التأثّر بالعقل، واختلاف الفرق فيه، وفي الجمع بينه وبين النصّ، وتطرّق إلى آراء المعتزلة والأشعريّة والماتريديّة والسلفيّة والفلاسفة[5]، وفي الفصل الرابع تحدّث عن الزهد والتصوّف، ومدى تأثُّرِهما بالمؤثرات الهندية واليونانية

---

[1]) انظر: بدوي، التراث اليوناني، ص: 314، وانظر: جولد تسيهر، دراسات محمديّة، ص: 385.

[2]) انظر: بدوي، المصدر نفسه، ص: 315.

[3]) انظر: جولد تسهير، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، وعلي حسن عبد القادر، عن دار الكاتب المصري –القاهرة، سنة: 1946م، ص: 03 وما بعدها.

[4]) انظر: جولد تسهير، المصدر نفسه، ص: 36-40.

[5]) انظر: جولد تسهير، المصدر نفسه، ص: 67 وما بعدها.

حتّى وصل إلى فكرة الحلول ووحدة الوجود[1]، وفي الفصل الخامس تحدث عن الفرق السياسيّة القديمة من الخوارج والشيعة، وتطورها، وأهمِّ اختلافاتها مع السنّة [2]، وفي الفصل السادس تحدث عن الحركات الدينيّة الأخيرة والمعاصرة من الوهابيّة والبهائيّة والبابيّة والسيخ، ومحاولات الوفاق بين السنّة والشيعة[3]، ومن أهمّ مزاعمه في هذا الكتاب:

01: أن القرآن من صنع محمد صلى الله عليه وسلّم.

02: أن الحديث النبوي من صنع الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الفقهية.

03: أن الفقه والتشريع الإسلاميّ مستمد من القانون الروماني.

04: أن الجهاد لم يكن باعثه الإيمان، بل التسلّط والاستيلاء.

خامساً: مذاهب التفسير الإسلامي: وهو آخر كتاب أصدره، تحدث فيه أولاً عن اختلاف القراءات وأسبابها، والمصحف العثمان رضي الله عنه وأسباب الاختلافات فيه، وما تبعه من اختلاف في التفاسير، ثم تناول التفسير بالمأثور مدّعيًا كثرة الإسرائيليات فيه، وكثرة اختلاف الروايات عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، كما تناول التفسير بالرأي ودور المعتزلة والصوفيّة وسائر الفرق من الخوارج والشيعة...فيه، وأخيرا تناول التفسير الحديث، وكانت طريقته في الكتاب كثرة السرد بالمقبول والمردود، وبما يتوافق من حيث الاستدلال أو لا يتوافق، وهو مليء بالمغالطات والتأويلات الباطلة والطعن في القرآن والدّين[4]، ولذلك لم يُعِرْ التفسير اللغويّ والبلاغيّ والعلميّ اهتماما، ولا حتى التفسير الفقهيّ.

سادساً: تحقيق الكتب وتقديمها: وبالإضافة إلى التأليف فقد اهتمّ جولد تسيهر بنشر وتحقيق وترجمة بعض الكتب، منها[5]:

01: نشر كتاب "المعمرين" لأبي حاتم السجستاني سنة 1899م وكتب له مقدمة.

02: كَتَب مقدمة لكتاب "التوحيد" لمحمد بن تومرت مؤسس الموحدين، نُشر في الجزائر سنة 1903م.

---

[1]) انظر: جولد تسهير، المصدر نفسه، ص: 119 وما بعدها.

[2]) انظر: جولد تسهير، المصدر نفسه، ص: 167 وما بعدها.

[3]) انظر: جولد تسهير، العقيدة والشريعة، ص: 223 وما بعدها، وانظر: جولد تسيهر، دراسات محمديّة، ص: 387.

[4]) انظر: جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي –القاهرة، ومكتبة المثنى – بغداد، الطبعة: الأولى، سنة: 1955م، ص: 3، 73، 120، 201، 337 وما بعدهم.

[5]) انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: 201، و انظر: العقيقي، المستشرقون، 2/ 907.

03: نشر فصولًا من كتاب "المستظهر" للغزالي في الرد على الباطنية سنة 1916م.

04: ترجم "توجيه النظر إلى علم الأثر" للشيخ: طاهر الجزائري

وله آثار أخرى، منها: اليهود، آداب الجدل عند الشيعة، الأساطير عند اليهود، بحث فلسفي في فقه اللغة العربية، والعقائد والشرائع عند المرجئة والقدرية والمعتزلة...

وله بحوث منها: مقالة من كتاب إسرائيلي في أسماء الله الحسنى، تفسير بعض أسماء الله السريانية التي وردت في القصيدة الجلجوقية، الخطيب عند العرب، التقية في الإسلام[1].

المطلب الثالث: جهود العلماء المسلمين في الرد على جولد تسيهر

منذ بداية تعرّف المسلمين على جولد تسيهر، واطلاعهم على كتبه وآراءه، انبرت كوكبة من علماء المسلمين بالردّ عليه، ونقض آرائه، والتصدي لافتراءاته، ومن هذه الجهود نذكر منها:

01: رد الدكتور علي حسن عبد القادر من خلال ترجمته الجزئية لكتاب "المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن".

02: رد الدكتور مصطفى السباعي في كتابه "السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي" على افتراءاته بخصوص السنة النبوية المشرفة.

03: رد الشيخ محمد الغزالي في كتابه "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين"، على كتاب جولد تسيهر "العقيدة والشريعة في الإسلام".

04: رد الدكتور نور الدّين عتر في كتابه "منهج النقد في علوم الحديث" على الشبهات في علم الحديث.

05: رد الدكتور محمد حسن جبل في كتابه: "الرد على جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية"

06: رد العلامة محمد طاهر بن عبد القادر الكردي في كتابه "تاريخ القرآن وغرائب رسمه" على كتاب جولد تسيهر "مذاهب التفسير الإسلامي"

07: رد الدكتور عبد الفتاح شلبي في كتابه "رسم المصحف العثماني وأهاوم المستشرقين" على نفس الكتاب السابق.

---

[1]) العقيقي، المصدر السابق، 2/ 906

08: رد الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه "القراءات في نظر المستشرقين والملحدين"

09: رد الدكتور شعبان محمد إسماعيل في كتابه "القراءات أحكامها ومصادرها".

10: رد الدكتور حسن ضياء الدين العتر في كتابه "الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها".

11: رد الدكتور ساسي سالم الحاج في كتابه "الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية".

12: رد الدكتور رشاد محمد سالم في كتابه "القراءات القرآنية وصلتها باللهجات العربية".

13: رد الدكتور عبد الله عبد الرحمن الخطيب في كتابه: "الرد على زعم المستشرقَيْن جولد تسيهر ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين".

وهناك العديد من الدراسات والبحوث الجامعيّة في الرد على جولد تسيهر، منها: "مناقشة جولد تسيهر في تفسير القرآن"، للدكتور جلال الدين محمد عبد الباقي، رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، 1978م.

المبحث الثاني: تشكيك جولد تسيهر في كلّيات الدّين

سلك جولد تسيهر في العقيدة الإسلاميّة مسلك أغلب المستشرقين، وهو التشكيك فيها بالطعن وإثارة الشبهات، متّبعًا منهج أغلبهم في ادعاء دعاوى غيرَ مُسندة إلى دليل، فإذا أسندها لم يلتزم صحة المُسند إليه، وإذا التزم الصحة حرّفها أو جزّأها، ثمّ بنى عليها أحكاماً خاطئة، ففي كل ذلك لم يلتزم بمنهجية البحث العلمي، وسنرى في هذا المبحث كيف تعامل مع الإسلام أصلًا في مصدريّته، وكيف تعامل مع الوحيَيْن القرآن والسنّة.

المطلب الأول: تشكيك جولد تسيهر في مصدريّة الإسلام

لجولد تسيهر تشكيكات كثيرة في مصدريّة الإسلام، خاصّة في كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام، وكلّها تصبّ في مَصبّ واحد، وهو طعنه في ربّانيّة الإسلام، إذ يرى جولد أنّ الإسلام ليس ربّانيّا، أي أنّه ليس وحيًا من الله عزّ وجلّ إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، بل هو صناعة بشريّة بدأها الرسول صلى الله عليه وسلم، وأتمّها أتباعه من بعده، ولأجل هذا التشكيك استخدم كلَّ ما بحوزته من معارف علميّة، ومن ألوان هذا التشكيكات:

التشكيك الأول

أنّ الإسلام تأسّس بروافد، وهي على قسمين: روافد داخليّة، وروافد خارجيّة.

أما الروافد الداخليّة فقد قال جولد: "لقد كان مسقط رأس محمد مَركزًا من المراكز الهامّة الخطيرة لعبادة الأوثان والأصنام، كما كان مقرًّا للكعبة المقدّسة والحجر الأسود، ومع هذا كانت الماديّة وكبرياء الجاهليّة، وتحَكُّم الأغنياء في الفقراء، هي المُميِّزات السائدة عند أشراف تلك المدينة...رأى النبي محمد هذا فأخذ يشكو من اضطهاد الفقراء، وطمعِ الأغنياء، وسوء المعاملة، وعدم المبالاة بالصالح العام، وواجبات الحياة الإنسانية، والأشياء الفاضلة الباقية التي تقابل هذه الحياة الدنيا الزائلة ومتاعها...وعندئذ قابَلَ هذه الأمورَ التي أثارت نفسه، والأثر الذي كان باقيًا وحيًّا فيه، وهو الأثر المدين به للتعاليم التي سبق أن تلقاها وتفتحت لها نفسه وأُشرِبها قلبه"[1].

---

[1]) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص: 13.

وقال أيضا: "ومن خلال النصف الأول من حياته، اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط، استقى منها أفكارًا أخذ يجترُّها في قرارة نفسه، وهو منطوٍ في تأملاته أثناء عزلته، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة، والتي يلمح فيها أثر حالته المَرضيّة، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين...وفي بدء رسالته كانت تأملاته تأخذ طريقها إلى الخارج في شكل أمثال مضروبة للحياة الأخرى، كانت تفرض نفسها على مخيلته بقوة تزداد يوما بعد يوم، وهذه التأملات هي التي كوَّنَت الفكرة الأساسية التي بَنىَ عليها تبشيره"[1]، فالروافد الداخليّة هي الروافد الأولى التي تأسّست في مخيِّلته كتأملات نفسيّة، بسبب ما أسماه "حالته المَرضيّة"، والتي كانت ردّةَ فعلٍ على كبرياء الجاهلية وتحَكُّم الأغنياء في الفقراء، فتشكّل الوحيُ.

أما عن الروافد الخارجيّة فقد قال: "فمحمد مؤسّس الإسلام لم يبشّر بجديد من الأفكار، كما لم يمدّنا أيضا بجديد فيما يتصل بعلاقة الإنسان بما هو فوق حسّه وشعوره وباللانهائية، لكنّ هذا وذاك لا يُنقصان من القيمة النسبيّة لطرافته الدينيّة...فتبشير النبيّ العربيّ ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهوديّة والمسيحيّة وغيرها، التي تأثّر بها تأثّرا عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفةً دينيةً حقيقيةً عند بني وطنه، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية، كانت في رأيه كذلك ضروريّة لتثبيت ضرب من الحياة، في الاتجاه الذي تريده الإرادة الإلهية، لقد تأثّر بهذه الأفكار تأثُّرًا وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجيّة، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يَعتبر هذه التعاليم وحيا إلهياً، فأصبح –بإخلاص– على يَقين بأنّه أداة الوحي" إلى أن قال: "ليس إلَّا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها محمد بفضل اتصاله بالعناصر اليهوديّة والمسيحيّة"[2]، وقال: "وأنه لم يأتِ بجديد"[3]، فالروافد الخارجيّة هي الروافد الثانية التي تأسّست من مزيجٍ من اليهوديّة والنصرانيّة وحتّى ديانة فارس وغيرها، وذلك بعد اتصاله بهم.

---

[1]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 13-14.

[2]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 12.

[3]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 11.

الرد على هذا التشكيك

شكّك جولد تسيهر في ربّانيّة الإسلام، إذ يرى أنّه ليس دينًا ربّانيّا ولا هو وحي من الله عزّ وجلّ إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، بل تأسّس من روافد داخليّة وخارجيّة.

أمّا روافده الداخليّة فإنّها –حسب زعمه– أحوال نفسيّة تشكّلت في مخيِّلته جرّاء كبرياء الأغنياء على الفقراء، وأضاف إليها كذبًا وبهتانًا ما أسماه "حالته المَرضيّة"، وحاشاه صلى الله عليه وسلم من هذا البهتان العظيم، وهنا وظّف جولد تسيهر بعض النظريات –التي كانت في زمنه تُسمى– علميّة كالمتعلّقة بالجانب النفسي السيكولوجي، أو المتعلّقة بالتفسير الماركسي الشيوعيّ.

وأمّا الروافد الخارجيّة فهي في زعمه تأثّر النبيّ صلى الله عليه وسلم باليهوديّة والنصرانيّة بل وحتى الفارسيّة[1]، وشتّان ما بين عقيدة الإسلام وهذه العقائد المزعومة، وقد ردّ على هذا الزعم الأستاذ عبد الحليم النجار في تعليقه على كتاب "مذاهب التفسير الإسلامي" بقوله: "ادعى جولد أن تعاليم الإسلام في البداية مقتبسة من اليهودية أو النصرانية، وهذا افتراء على الإسلام، فإنّ تعاليمه الأولى اعتمدت على الكتاب والسنة، ولم تظهر تعاليم المزج والانتخاب إلّا عند أهل الزَّيغ من المتأخرين الذين يشتدّ النكير عليهم في كل عصر"[2]، وقد أنكر السباعي على جولد عدم التزامه المنهج العلمي، والاقتباس الصحيح، والتأويل الباطل[3]، ومن خلال الفقرات السابقة فإنّ جولد تسيهر وقع في:

01: الكذب بوصف النبيّ صلى الله عليه وسلم بما أسماه "حالته المَرضيّة" وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك، ثمّ إنّه ادّعاءٌ خالٍ من الحجّة والبرهان.

02: الكذب بالادعاء أن الإسلام تأسّس بتأثّر النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالفارسية، فكيف ومتى تأثّر بهم، وهم عبّاد النار؟

03: التضليل بالادعاء أن الإسلام تأسّس بتأثّر النبيّ صلى الله عليه وسلم باليهودية والنصرانية ليعارض وثنيّة قريش، والأصل أن الإسلام عارض كذلك اليهودية والنصرانية في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى:

---

[1]) جولد تسيهر، دراسات محمديّة، ص: 18.

[2]) تعليق عبد الحليم النجار، مذاهب التفسير الإسلامي، ص: 171.

[3]) انظر: السباعي، المصدر السابق، ص: 70.

"وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" (سورة التوبة: 30)

04: التضليل بالادعاء أن الإسلام تأسّس بسبب حالة نفسيّة للنبيّ صلى الله عليه وسلم جرّاء كبرياء الأغنياء على الفقراء، وهي السمة الاجتماعية لجميع الأنبياء في أقوامهم، فلِمَ لم تكن عنده سببَ نكير على النبيَيْن موسى وعيسى عليهما السلام؟.

التشكيك الثاني

أنّ الإسلام نما وتطوّر بحسب الظروف المكوِّنة له، والأحوال المطوِّرة له، فقال: "منهاج هذه الدراسة لا يدخل فيه بحث التفاصيل الخاصة المذهبية لهذا الدّين، والذي علينا هو أن نلقي ضوءًا على العوامل التي أسهمت في تكوينه التاريخي، ذلك بأن الإسلام كما يبدو عند اكتمال نموه هو نتيجة تأثيرات مختلفة، تكون بعضها باعتباره تصوّرا وفهما أخلاقيا للعالم، وباعتباره نظاما قانونيا وعقديا، حتى أخذ شكله السنّي النهائي..."[1]، "وأنّه عَرف مرحلتين:

01: مرحلة مكة، يقول جولد: "ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدَّم بها محمد الصورةَ التي أوجبتها إليه حميَّته الملتهبة في شكل وهميٍّ خياليٍّ حادٍّ تلقائيٍّ ذاتيٍّ"[2]، ويقول كذلك: "وكما تُقدِّم تعاليمُ الإسلام حتى في مرحلته البدائية صورةً من مذهبي الانتخاب والمزج من اليهودية والنصرانية وديانة فارس وغيرها كذلك، عملت آثارٌ أجنبية من التجارب التعليمية النافذة من المحيط الخارجي في تنمية ما جدّ بعد ذلك من المسائل، كما يبدو في مسائل الخلاف العقدية، التي كانت تؤدّى في أوقات الهدوء المعترضة إلى صياغة قواعد مركزّة متبلورة، وقد أمكن في وقت مبكّر إثباتُ أن الأنظار والمسائل العقدية التي كانت محل الاعتبار في القرنين الأولين عند علماء الكلام الإسلاميين، قد برزت تحت تأثير النشاط العقدي داخل الكنائس والفرق المسيحية الشرقية"[3].

---

[1]) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص: 10-11.

[2]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 19-20.

[3]) جولد تسيهر، المصدر السابق، ص: 11.

02/ مرحلة المدينة، ويقول عن مرحلة المدينة: "في هذه المدينة استمر الرسول يُظهِر أنه مُوحَى له بواسطة الروح الإلهي، كما أن الجانب الأكبر من القرآن نراه يحمل طابع وطنه الجديد...فإنّ تبشيره قد اتخذ إلى جانب هذا اتجاها جديدا، فلم يصبح حديثه حديث من استولت عليه الرؤى المشبعة بالدار الآخرة وما يكون فيها، بل إن تلك الحالة الجديدة جعلت منه أيضا مجاهدا وغازيا ورجل دولة، ومنظم جماعة، أصبحت تتّسع وتنمو شيئا فشيئا...والوحي الذي نشره محمد في أرض مكة لم يكن ليشير إلى دين جديد، فقد كانت تعاليم واستعدادات دينية نمّاها في جماعة صغيرة...إنّه في المدينة فقط ظهر الإسلام نظاما له طابع خاص، وله في الوقت نفسه صورة الهيئة المكافحة، إنه في المدينة قامت طبول الحرب التي تَردّدَ مداها في جميع أزمنة التاريخ"[1].

وقال كذلك: "ولا ننسى أن من الواجب علينا أن نوجّه النظر إلى الطريقة التي حَدّدت له رسالته، وتحقيقها خصوصا في العصر المدني، أيْ في الأثناء التي حدث فيها أنْ تحول من المتقشف المستسلم الصابر إلى رئيس الدولة المحارب، والفضل في إيضاح الموضوع يرجع إلى العلّامة الإيطالي "ليون كايتاني" في كتابه القيم "حوليات الإسلام"، فقد استعرض مصادر التاريخ الإسلامي استعراضا عامًّا، ونقدها نقدا دقيقا عميقا لم يَسبق له مثيل في الأبحاث، إنّه من الواضح أننا لا نستطيع أن نطبّق في العصر المدنيّ على عمل محمد المثل القائل: "الكلمة أقوى من السيف"، فمنذ تَرْكِهِ مكة تغيّر الزمن ولم يصر واجبا بعدُ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الحجر: 94)، أو دعوتهم كما يقول القرآن: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل: 125)، بل حان الوقت لتَتّخذ كلمتُه لهجةً أخرى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (سورة التوبة: 5)، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: 244) فهو الآن يحمل السيف في العالم، ولا يكتفي بـ "عصاه التي يضرب بها الأرض" ولا بنفثات شفتيه لإبادة الكفَرَة، بل هو نفير الحرب الذي ينفخ فيه، وهو السيف الدامي الذي رفعه لإقامة مَمْلكتِه"[2]، وينبز أن الماديّة هي التي تحرّكه، فيقول: "على اعتبار أنه ذريعةٌ لحركة الفتح هذه التي كانت

---

[1]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 18.

[2]) جولد تسيهر، المصدر السابق، ص: 34-35.

تدعو إليها الضرورات الاقتصادية، فالاعتبارات الدنيويّة المحضة والأمانيّ المادّية التي أمكنها –أحيانا– أن تُشبع المساهمة الحماسية في نشر الديانة المحمدية"[1].

فجولد تسيهر يرى أن شكل الإسلام في المدينة اختلف عمّا كان عليه في مكّة، لذلك فالإسلام ابن بيئته يتغيّر متأثرًا بالواقع المتغير، وعليه فأصوله ومبادئه متغيرة، فهو ليس وحيًا ولا ربّانيّا.

الرد على هذا التشكيك

يستمرّ جولد تسيهر في التشكيك في ربّانيّة الإسلام، وأنّه ليس وحيًا، وهذه المرّة بمزْعم آخر وهو أنّ شكل الإسلام في المدينة غير شكله في مكّة، والحقيقة أنّ المرحلة المدنيّة لابدّ أن تختلف عن المرحلة المكيّة، وهذه حقيقة لا إشكال فيها، إنّما الإشكال في توظيفها في غير سياقها، واستنباط الحكم المنحرف منها، يقول بدوي: "وقد أدى استخدام جولد لهذا المنهج إلى اختيار ما يناسبه من الأقوال التي تعضّد فكرته، بناءً على أنّ اختياره للنصوص سيكون انتقاءً كيفيًا، أو نفيًا كيفيًا، فيفسّر في ضوء خبرته ومشاعره الخاصّة، وما يعرفه من واقع الحياة والمجتمع الغربي"[2]، ثم يقول: "ويستخدم جولد هذا المنهج، ويعتمد عليه في معظم كتاباته، فكان يُقبل على النصوص، وفي عقله جهاز من المقولات والصور الإجماليّة، يحاول تطبيقها على هذه النصوص، والتوفيق بينها وبين ما يوحي ظاهر النصّ، حتى يتلاءم وهذه الصور الإجمالية، وحتى يدخل في نطاق تلك المقولات"[3]، وإذا طبّقنا نفس معيار جولد على الديانة اليهوديّة نجد تعاليمها قبل مجاوزة البحر وبعده ليس سواءً، وتعاليمها قبل التّيه وبعده ليس سواءً، فإمّا أن يُبطل اليهوديّة أو يُبطل استنتاجه المنحرف، وفي مقالاته التي أوردناها بعض الملاحظات:

01: يقول: "فلم يُصبح حديثه حديث من استولت عليه الرؤى المشبعة بالدّار الآخرة"، وهذا كذب وتضليل، لأن آخر آية نزولا، وهو بالمدينة، قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: 281)

---

[1]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 137.

[2]) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: 199-200.

[3]) بدوي، المصدر نفسه، ص: 199-200.

02: وقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم: "...تحول من المتقشِّف المستسلم الصابر إلى رئيس الدولة..."، وهذا كذلك كذب وتضليل فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام حتى قبض» [1].

03: وقال: "...العلامة الإيطالي "ليون كايتاني" في كتابه القيِّم "حوليات الإسلام"...ونقدها نقدا دقيقا عميقا..."، وهذا تصريح رائع منه، لأنّه كشف حقيقة ما يضمرونه، وأنّهم لا يدرسون الإسلام بموضوعيّة، بل لينقدوه نقدا دقيقا عميقا، فهو كصاحبه وملّة الكفر واحدة.

04: زعمه أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ترك الكلمة وأخذ السيف، وهذا كذلك كذب وتضليل، لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة وسيفُه كلمةُ:«مَنْ دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ، ومَنْ أغلقَ عليه دَارَهُ فهو آمِنٌ، ومن دخل المسجدَ فهو آمِنٌ» [2]، وأمّا القتال فإنّما شُرع ضدّ مَن قاتل فقط، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة البقرة: 190).

05/ أمّا زعمه أنّ الجهاد تدعو إليها الضرورات الاقتصادية، وقوله: "فالاعتبارات الدنيوية المحضة"، وهذا كذلك كذب وتضليل، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لعلي رضي الله عنه:«...فوالله لأن يهدي الله رجلا بك خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النعم»[3].

المطلب الثاني: تشكيك جولد تسيهر في القرآن الكريم

التشكيك في القرآن الكريم من أقدم أنواع التشكيكات، سواءٌ في مصدريته، أو في مضامينه، أو في طريقة جمعه وكيفية تدوينه، أمّا جولد تسيهر فقد شكّك فيها جميعا، في جميع كتبه، وخاصّة كتابه: "مذاهب التفسير الإسلامي"، وإليكم بعضها:

التشكيك الأول

التشكيك في مصدرية القرآن الكريم، هو الوتر الذي يعزف عليه غالبيّة المستشرقين، ومنهم جولد تسيهر الذي يقول: "إن القرآن ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها واستقاها محمد

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأطعمة، رقم: 5059.

[2]) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الخراج والفيء والإمارة، باب: ما جاء في خبر مكة، رقم: 3022.

[3]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم على يديه رجل، رقم: 2847.

بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثّر بها تأثّرا عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقة عند بني وطنه، لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرا وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا إلهيا"[1]، فالقرآن الكريم حسب زعمه ليس وحيًا ربّانيًا.

الرد على هذا التشكيك

نفس الدعوى، أنّ القرآن صناعة محمديّة إثر احتكاكه بالنصارى واليهود، وكان ردّ الله تعالى عليهم مفحمًا أن لسان أولئك القوم ولغتهم أعجمية، والقرآن عربي مُعجِز، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة النحل: 103)، وردًّا آخر مفحمًا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب، فقال الله سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (سورة العنكبوت: 48)، علمًا أنّ العهد القديم لم يكن مترجما إلى اللغة العربية قبل الإسلام، قال المستشرق "جوتين": وقد أشارت الموسوعة البريطانية إلى عدم وجود ترجمة عربية لأسفار اليهود قبل الإسلام وأن أول ترجمة كانت في أوائل العصر العباسي[2].

التشكيك الثاني

تشكيكٌ في مضامين القرآن الكريم، ففي كتاب: "مذاهب التفسير الإسلامي" بدأ جولد تسيهر بتقرير صادم يعبّر عن خلفيته اليهودية فقال: "لا يوجد كتابٌ تشريعيٌّ اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نصٌّ منزل أو موحى به، يُقدم نصّه في أقدم عصورِ تداوله بمثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات، كما نجد في نصّ القرآن"[3]، فالقرآن حسب زعمه مليء بالتناقضات، حيث بدأ كتابه بهذه المقدّمة ثمّ جعل الكتاب بكامله أدلّة لهذا المزعم، فقرر بعد ذلك أن تعدُّدَ القراءات واختلافَها يرجع إلى خلو المصاحف من النُقط والحركات، فيقول: "وترجع نشأة قسمٍ كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي، الذي يقدِّم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعا لاختلاف

---

[1]) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص: 12.

[2]) س. د. جوتين، دراسات في تاريخ الإسلام ونظمه، نقلا عن: محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ص: 148.

[3]) جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص: 04.

النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط، بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات، الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها، وإذًا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطا أصلا، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه"[1]، ومن خلال زعمه فإن تحديد القراءات كان حسب هوى القراء فكان التعدد والاختلاف، ولبيان مزاعمه أورد أمثلة لانعدام التنقيط: كقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة الأعراف:48)، قُرأت: تستكبرون بالباء الموحدة، وتستكثرون بالثاء المثلثة"[2]، كما أورد أمثلة لاختلاف الحركات، كقوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾ (سورة الحجر:8)[3]، قال: "فتبعا لاختلاف القراء في قراءة اللفظ الدال على نزول الملائكة هل هو: نُنَزِّل أو نَنْزِل أو تُنْزَل، تفيد المعنى كل كلمة بما ناسبها"[4]، وكذلك ادعاؤه قراءتين لقوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ الأولى "غُلِبت" بضم الغين وكسر اللام مبنية على المجهول مع "سيَغلِبون" بفتح الياء وكسر اللام، والثانية "غَلَبت" بفتح الغين واللام مبنية على المعلوم مع "سيُغلَبون" بضم الياء وفتح اللام[5].

كما لم يفته أن ينفخ في نار الخلاف مع متطرفي الشيعة وحقيقةِ الزيادات والتغييرات التي طرأت على المصحف العثماني قائلاً: "إنه وإنْ كان الشيعة قد رفضوا الرأي الذي ذهبت إليه طائفة متطرّفة منهم، من أنّ القرآن المأثور لا يمكن الاعتراف به مصدراً للدّين، بسبب الشكّ في صحّته، وبراءته من المآخذ، فإنهم قد تشكّكوا على وجه العموم منذ ظهورهم في صحّة صياغة النصّ العثماني...يشتمل على زيادات وتغييرات هامّة...القرآن الكامل الذي أنزله الله كان أطول كثيراً من القرآن المتداول في جميع

---

[1]) جولد تسيهر، المصدر السابق، ص: 08.

[2]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 09.

[3]) في ورش: تَنَزَّلُ.

[4]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 13.

[5]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 30-31.

الأيدي...وعلى هذا فإن سورة الأحزاب التي تشتمل على 73 آية، كانت في النصّ السابق على المصحف العثماني لا تقلّ عن سورة البقرة التي تشتمل على 286 آية، وسورة النور التي هي الآن 64 آية، كانت قبل ذلك أكثر من مئة آية..."[1]، وللتدليل اختار جولد كتابَ "بيان السعادة" لـ "ابن حجر البجختي"، وهو من أقدم تفاسير الشيعة، أُلف عام (ت: 311هـ)، وتفسير "عليّ بن إبراهيم القمّي"، ويزعم أنّ خلافهم كان بسبب رفضهم الزيادات والنقصان والتغييرات في المصحف العثماني.

وفي صميم العقيدة يزعم أنه لا يوجد في القرآن عقيدةٌ سالمة من التناقض فيقول: "من العسير أن تستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقديا موحَّدا متجانسا، وخاليا من المتناقضات"[2].

الرد على هذا التشكيك

لقد بدأ جولد تسيهر كتابه بحكم مسبق، ثمّ راح يدلّل لإثبات مزعمه، وهذا خطأ منهجيّ لأنّ الحكم يكون استنتاجا لا مقدّمة، وقد عقّب الدكتور علي حسن عبد القادر بعد ترجمته لكتاب "المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن" أنّ المؤلّف قد تخلى عنه قلم العالم النزيه في نقد المسائل نقداً سليماً، ومعالجتها في جو علمي لا تشوبه الأهواء، ولا تعكر صفاءه الأوهام والشكوك[3]، كما ردّ الدكتور محمد حسن جبل على زعم جولد "اضطراب القرآن" ووضح تناقضات جولد ومغالطاته وتتبعه فقرة فقرة[4]، وردّ محاولته إسقاط الإسناد وانتقائياته المغرضة، بل واتهمه بما أسماه "حرية القُرّاء بإنشاء القراءات بشكل اعتباطي"[5]، وأنّ منهجه متعرّج لا يقوم على أساس علمي، بل غايته التمويه والمغالطة، وأدواته الإبهام والتناقض، والمحاججة بما ليس بقراءات أصلاً[6].

---

[1]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 293-294.

[2]) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، ص: 87.

[3]) جولد تسيهر، المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، ترجمة: الدكتور علي حسن عبد القادر، مطبعة العلوم، القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة: 1944م، ص: 174.

[4]) انظر: محمد حسن حسن جبل، الرد على جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، مصر، الطبعة: الثانية، عام: 1423هـ-2002م، ص: 148-152.

[5]) جبل، المصدر نفسه، ص: 159.

[6]) انظر: جبل، المصدر نفسه، ص: 163- 164.

ومما زعمه أنّ تعدُّدَ القِراءات سببه خلوّ المصاحف من النُقط والحركات، لذا فهو خاضع لأهواء القرّاء، هو زعم باطل، لأن القرآن كلَّه من عند الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (سورة الشعراء: 192-195)، وقد أنزله الله على سبعة أحرف، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»[1]، وليس للنبي صلى الله عليه وسلم فيه يدٌ، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة يونس: 15)، ومن باب أولى ألّا يكون لغيره يد فيه.

أمّا القراءات فمصدرُها الوحي فقط، وما المصحف العثماني إلّا مُعِينٌ على تعدّد القراءات، لخلوّه من النقط والشكل، فهو "معينٌ" وليس "سبباً"، وقد أرفق سيدنا عثمان رضي الله عنه المصاحف إلى الأمصار بقُرّاء، يقرؤون ما سمعوا، فاجتمع المكتوب والمقروء، وحُفظ القرآن من الزيادة والنقصان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: 9).

وإذا كان منشأ القراءات هو خلو المصاحف من النقط والحركات كما زعم جولد تسيهر، فلماذا لم تقبل القراءات الشاذة التي يحتملها رسم المصحف، الجواب البسيط لأنها لم تثبت رواية، ثم كيف كانت قراءة الصحابة والتابعين قبل هؤلاء القرّاء بلا نقط ولا حركات، والجواب لا شكّ أنّها تسلسل الرواية، لكن الخلفية اليهودية لجولد أبتْ إلّا التشكيك في القرآن والقراءات، على أنه عمل بشريّ محض، وذلك لإسقاط قدسيته، فيسقط الإسلام كله.

وللرد على شبهاته في أمثلة انعدام التنقيط، كما في آية (08) من سورة الحجر فقد ذكرَ أشكال: "نُنَزِّل" أو نَنْزِل أو تُنْزَل، قال النجار: إنّ الأخيرَين لم يردا في القراءات السبع ولا العشرة ولا الأربع عشرة[2]، وكذلك في أول سورة الروم "غُلِبت" أو "غَلَبت"، ففيها قراءة واحدة وهي الأولى والتي سماها المشهورة، ليضلل الناس أن الثانية وإن لم تكن مشهورة فهي معتبرة، قال النجار عن الثانية: ليست في

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم: 4705.

[2]) هامش: جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص: 13.

القراءات السبع ولا العشرة ولا الأربع عشرة[1]، وبذا ينهار طعن جولد، وقد أقْدمَ الكثيرُ على ملاحقة جولد في كلّ كبيرة وصغيرة أوردها، فيما يتعلّق بصحّة القراءات في القرآن الكريم، منهم بدوي والنجار، وجبل الذي ترصّده "بما يقدع أنفه ويقلّص أظافره" حسب وصفه[2].

أمّا ما نَسبَه للشيعة بخصوص الطعن في القرآن زيادة ونقصانا، ومن ذلك ادّعاؤه أنّ سورة الأحزاب كانت تعدل البقرة، وغيرها من السور كانت تعدل كذا وكذا، فهو ادّعاء باطل، لتكذيب الشيعةِ له، ومن مصادرهم[3]، واختيارُ جولد كتاب "بيان السعادة"، وزعمه أنّه من أقدم تفاسير الشيعة، وزعمه أنّ تأليفه تمّ عام 311هـ، بَيَّنَ كذِبَه، لأنّ مؤلّفه "السلطان محمد بن حيدر البيدختي الجنابادي" من مواليد سنة 1251هـ، وقد فرغ من تأليفه عام 1311هـ، وهذا يعني أن جولد قد أرجع التاريخ الحقيقي عشرة قرون إلى الوراء، وحرَّف كذلك اسم المؤلِّف إلى "ابن حجر البجختي"[4]، والكتاب الآخر الذي اختاره هو تفسير "عليّ بن إبراهيم القمّي" ليس من صنعه، وإنما هو من صنع أحد تلاميذه المجهولين، فالكتاب لا يصلح للاستناد[5].

المطلب الثالث: تشكيك جولد تسيهر في الأحاديث الشريفة

شكّك جولد تسهير في الأحاديث النبوية، وذلك من زاويتين:

التشكيك الأول

شكّك في كونها وحيًا، وزعم أنّها ليست من أقوال النبيّ صلى الله عليه وسلم، بل هي من أقوال الصحابة والتابعين ومن تبعهم، وقد أخضع الأحاديث إلى نظريّة التطوّر التي افترضها، كما فعل مع القرآن، فقال: "إنّ الحديث النبوي وُجدَ نتيجةً للتطور الدينيّ والتاريخيّ والاجتماعيّ الإسلاميّ، خلال

---

[1]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 30-31.

[2]) محمد حسن حسن جبل، المصدر السابق، ص 07.

[3]) محمد هادي معرفة، صيانة القرآن من التحريف، الناشر: مؤسسة التمهيد، ص: 147.

[4]) محمد هادي معرفة، المصدر نفسه، ص: 205.

[5]) محمد هادي معرفة، المصدر السابق، ص: 171.

القرنين الأوليْن للهجرة"[1]، وهذا التطوّر قد مسّ حتى المضامين، ومنها الاعتقاد، فيقول: "إنّ الاعتقاد يتطور بتطور الحديث"[2]، وقد كرّرَ هذه الفرية مِرارًا.

والذي دفع الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى التقوّل على النبيّ صلى الله عليه وسلم، هو الحاجة إلى مُستَنَدٍ لمواقفهم وآرائهم، يقول جولد: "والحقّ أن كلّ فكرة وكلّ حزب وكلّ صاحب مذهب يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل، وأن المخالف له في الرأي يسلك أيضا هذا الطريق، ومن ذلك لا يوجد في دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لا تعزز رأيها بحديث، أو جملة أحاديث ظاهرها لا تشوبه شائبة"[3].

ويزعم كذلك أنّ الأحاديث نشأت من الأمم السالفة، فيقول: "فهناك جملٌ أُخذت من العهد القديم، والعهد الجديد، وأقوال للرّبانيين، أو مأخوذة من الأناجيل الموضوعة، وتعاليم من الفلسفة اليونانية، وأقوال من حكم الفرس والهنود، كل ذلك أخذ مكانه في الإسلام عن طريق الحديث"[4]

الرد على هذا التشكيك

كعادة جولد يتّخذ من التشكيك مُنطلقا وغاية وأسلوبًا، فكما زعم أنّ القرآن ليس وحيًا، كذلك يزعم هنا أنّ السنّة ليست وحيًا، وبنفس الحجّة الواهية، وهي تطوّر الدّين حسب زعمه، فيقول: "الحديث النبوي وُجد نتيجة للتطور..."، وتبعته المضامين، ومنها الاعتقاد، ونردّ عليه أنّ الثباتَ سمةُ هذا الدّين، على مرِّ العصور واختلاف الأنبياء، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 83-84)، فزعمه تطوّر الدّين تضليل باطل له مستند له.

أمّا قوله: "صاحب كلّ فكرة وكلّ حزب دعم رأيه...والمخالف كذلك"، زعمه أنّ الأحاديث المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هي من تأليف الصحابة والتابعين ومن تبعهم لنصرة آراءهم

---

[1]) جولد تسيهر، الدروس المحمدية، ص: 19.

[2]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 18.

[3]) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص: 49.

[4]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 51.

زعم باطل[1]، والقرآن يكذبه، فالإسلام بلغ تمامه أيام النبي صلى الله عليه وسلم، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة: 3).

وأمّا قوله: "فهناك جمل أخذت من العهد القديم والعهد الجديد..."، فالتاريخ والواقع يكذبانه، وشتّان ما بين الإسلام وبين غيره جوهرًا ومظهرًا، عقيدة وعبادة...

التشكيك الثاني

شكّك في نسبة الأحاديث –آحادها ومتواترها– إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، وذلك بسبب تأخّر تدوين السنّة بعقود كثيرة، والاعتماد خلالها على الذاكرة وهي عرضة للنسيان، فيرى جولد: "إنّه من الصعوبة بمكان أن ننخل أو نميّز وبثقة من كميّة الحديث الكبيرة الواسعة، قِسما صحيحا، يمكننا نسبته إلى النبيّ"[2]، ولقد أثارت روايات أبي هريرة رضي الله عنه حفيظة كثير من الطاعنين في الحديث الشريف، ومنهم جولد، وذلك لأنّه أسلم ثلاث سنوات قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبلغت مروياته إلى (5374) حديثا، وهو يعدّ من أكثر الصحابة رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما طعن في مرويات الصحابة، خاصة الصغار منهم، لذا يقول جولد: "ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول، أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى"[3]، ومن أمثلة الأحاديث التي نقدها حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تُشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى"

الرد على هذا التشكيك

أمّا نقد جولد لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى"، فهو نقد باطل لأنّ الحديث روي بألفاظ عديدة من ستة وخمسين طريقا في كل من الكتب الستة، وسنن الدارمي، ومسند الإمام أحمد، والسنن الكبرى للبيهقي، ومسند أبي يعلى، والمعجم الكبير للطبراني، ومسند أبي داود الطيالسي، ومسند

---

[1]) السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص: 19.

[2]) جولد تسيهر، الدروس المحمدية: ص: 5.

[3]) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص: 49-50.

الحميدي، ومسند الشاميين وغيرها، لكن جولد نقده مفتريًا على الإمام ابن شهاب الزهري (ت: 124هـ) رحمه الله، فاتهمه بالكذب على النبيّ صلى الله عليه وسلم لصالح الأمويّين، وذلك عندما أراد الخليفة عبدالملك بن مروان (ت: 86هـ) أن يشجع الناس لزيارة المسجد الأقصى، بدلا من الذهاب إلى مكة المكرمة، أثناء فتنة عبد الله بن الزبير (ت: 73هـ)، ثم تحامل جولد على الزهري فحرّف قوله: "كنَّا نكره كتاب العلم حتَّى أكرَهَنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين"، قال السباعي مبيّنا هذا التزوير: "زعم جولد تسيهر أن الزهري اعترف اعترافا خطيرا في قوله الذي رواه عنه معمر...وأنّ ذلك يُفهِم استعداد الزهري لأن يكسو رغبات الحكومة" إلى أن قال: "أما هذا النص الذي نقله ففيه تحريف متعمد، يقلب المعنى رأسا على عقب، وأصله كما في ابن عساكر وابن سعد: أن الزهري كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس –ويظهر أنه كان يفعل ذلك ليعتمدوا على ذاكرتهم، ولا يتّكلوا على الكتب كما ذكرنا من قبل– فلما طلب منه هشام، وأصرّ عليه أن يملي على ولده، ليمتحن حفظه كما تقدم، وأملى عليه أربعمائة حديث، خرج من عند هشام، وقال بأعلى صوته: "يا أيها الناس إنا كنا منعناكم أمرا، قد بذلناه الآن لهؤلاء، وإن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة (الأحاديث)، فتعالوا حتى أحدثكم بها، فحدثهم بالأربعمائة الحديث"، هذا هو النص التاريخي لقول الزهري، وقد رواه الخطيب بلفظ آخر وهو: "كنا نكره كتاب العلم –أي كتابته– حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين"، فانظر كم الفرق بين أن يكون قول الزهري كما روى جولد تسيهر: "أكرهونا على كتابة (أحاديث)"، وبين أن يكون قوله، كما رواه المؤرخون: "أكرهونا على كتابة (الأحاديث)"، أو كما رواه الخطيب "على كتابة العلم"، ثم انظر إلى هذه الأمانة العلمية، حذف "ال" من "الأحاديث" فقلبت الفضيلة رذيلة، حيث كان النصّ الأصلي يدل على أمانة الزهريّ، وإخلاصه في نشر العلم، فلم يرض أن يبذل للأمراء ما منعه عن عامة النّاس، إلّا أن يبذله للنّاس جميعا، فإذا أمانة هذا المستشرق تجعله ينسب للزهري أنه وضع للأمراء أحاديث أكرهوه عليها، فأين هذا من ذاك؟"[1].

وجولد تسيهر الذي يزعم نخل الحديث ونقدها لا يمانع من الأباطيل، يقول السباعيّ: "وبسبب استماتته في تأكيد شكّه لم يكن يتحرّج أن يترك المصادر الأصلية، ويتكئ على كتب وضعت للترفيه

---

[1]) السباعيّ، المصدر السابق، ص: 221–222.

والمؤانسة، ككتاب "ألف ليلة وليلة"، فكثيرا ما اعتمد عليه في النقل أثناء بحوثه العلميّة، أو في كتاب "حياة الحيوان" للدميري الذي ينقل عنه كثيرا"[1]، بل لا يمانع أن يقوّي الأحاديث المتعارضة، يقول جولد: "لا توجد مسألة خلافية سياسية أو اعتقادية إلاَّ ولها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوي"[2]، إن زعم جولد نقد للأحاديث إذا ما قورن بجهود الجهابذة الذين خدموا الحديث، لا يمثّل إلّا كذبابة حطت على جبل، قال السباعي: "وفي جامعة "أبسلا" بالسويد التقيت بالشيخ المستشرق "نيبرج"...وجرى بيني وبينه حديث طويل، كان أكثره حول أبحاث المستشرقين ومؤلفاتهم عن الإسلام وتاريخه، وجعلت "جولد تسيهر" محور الحديث عن المستشرقين، وذكرت له أمثلة من أخطائه وتحريفه للحقائق، فكان ممّا قاله بعد ذلك: إنّ جولد تسيهر كان في القرن الماضي ذا شهرة علميّة، ومرجعاً للمستشرقين، أمّا في هذا العصر –بعد انتشار الكتب المطبوعة في بلادكم عن العلوم الإسلاميّة– فلم يعد جولد تسيهر مرجعا كما كان في القرن الماضي، لقد مضى عهد جولد تسيهر في رأينا"[3].

---

[1]) السباعيّ، المصدر السابق، ص: 228.

[2]) السباعيّ، المصدر نفسه، ص: 203.

[3]) السباعيّ، المصدر نفسه، ص: 16.

المبحث الثالث: تشكيك جولد تسيهر في مسائل في العقيدة الإسلاميّة

المطلب الأول: تشكيك جولد تسيهر في الألوهيّات

التشكيك الأول

يرى جولد تسيهر في كتابه "العقيدة والشريعة" أنّ دراسة وتقييم أيّ دين يخضع للوقائع والظروف التاريخيّة والاجتماعيّة له[1]، ولأجل هذا فهو لا ينطلق من أساس الدّين وهو الوحي، ولا من مكوّناته الحقيقية من عقيدة وشريعة، بل حسب زعمه إنّ الإسلام تأسّس بالنموّ والتطوّر، متأثرًا بالغير، خاضعًا للحاجة، يقول جولد: "إن محمّداً قد تأثّر بالآخرين بخصوص عقيدته بوجود الله، وإن فكرهُ بالله أدنى مستوى من فكر الأديان السابقة، ومنها اليهوديّة"[2]، وفي مكان آخر يذكر بأن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد تأثّر بأفكار المسيحية[3]، وباسم التطوّر الدّيني –حسب زعم جولد– فإنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم في مرحلته المدنيّة احتاج إلى الجهاد ليحقّق المطالب الماديّة للدولة، وبذلك تغيّر فكره عن الله، قال جولد تسيهر: "وهكذا كان من الجهاد والنصر المعتبَرَيْن وسيلة لرسالته النبويّة، أنْ غيَّرا الفكرة عن الله"[4]، إذن فجولد تسيهر يرى أنّ عقيدة الإسلام في الله تتأسس وتتطوّر وتتغيّر وتتأثر.

الرد على هذا التشكيك

إنّ المنطلق الذي انطلق منه جولد، وهو أنّ دراسة وتقييم أيّ دين يخضع للوقائع والظروف التاريخيّة والاجتماعيّة له، منطلق معوجّ، والأصل أن ينظر إلى أُسسه من عقائد وأحكام، وإلى أثره من مبادئ وقيم، أمّا جولد فإنّه يريد أن ينظر إلى الوقائع والظروف التاريخيّة، لأنّه يريد أن ينبش بعض الماضي البئيس، من الآراء الضالة والفرق المضلِّلة[5]، ممّا عفا عنه الزمن وطمسته الأيام، ليعيد بعثه من جديد لعله أن يحدث الخلل بين المسلمين.

---

[1]) انظر: جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص: 34-36.

[2]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 17-20.

[3]) جولد تسيهر، المصدر السابق، ص: 24.

[4]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 34-36.

[5]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 187 وما بعدها.

أمّا زعمه أنّ الإسلام تأثّر بالآخرين بخصوص عقيدته بوجود الله، فهذا الكلام غير صحيح لأننا إذا عَرَضنا كتب اليهود المُحرّفة، سنجدها صَوَّرت الإله بأنه إله طائش حين يغضب، ثم يندم على فعله: "إنّ الرب غضب على بني إسرائيل، وجعل فيهم وباءً، فقتل سبعين ألف رجلٍ، وبسط الملاكُ يده على أورشليم ليهلكها، فندم الربّ عن الشرّ"[1]، فهذه عقيدة اليهود في الله –تعالى عمّا يقولون– التي ينكرها الإسلام والمسلمون في معتقدهم إنكارًا قاطعًا، ويعتقدون أنه سبحانه عليم حليم، كما قال تعالى: "إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا"(سورة النساء: 12)، وأنّه تعالى: "لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ"(سورة الأنبياء: 23)، فشتّان ما بين العقيدتين، كما تُصوّرُ كتبهم كذلك الإلهَ بأنّه ينام ويستيقظ: "اسكتوا يا كلَّ البشر قُدام الربّ لأنه قد استيقظ من مسكن قُدْسه"[2]، فهذه عقيدة اليهود، أمّا عقيدة المسلمين فكما قال الله تعالى: "اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ" (سورة البقرة: 255).

ومن جهة أخرى فإنّ عرب الجاهليّة قبل الإسلام كانوا عبّادًا للأصنام، رغم أنّهم يعتقدون أنّ الله خالقُ الكون، كما في قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة الزخرف: 87)، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة لقمان: 25)، ومنه فإنّ عقيدة الإسلام في الله تختلف عمّا هي عند المشركين اختلافاً كبيراً، كما تختلف عمّا هي عند اليهود والمسيح، فكيف تأثّر الإسلام بهم؟ وهل اقتبس الإسلام منهم؟ هذا مُحال والشواهد التاريخية خير دليل على ذلك[3]، إذن فزعمه أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد تأثّر بالآخرين بخصوص عقيدته بوجود الله زعم باطل.

ثمّ يزعم أنّ الدّين قد تأسّس، وهذا كذلك زعم باطل، فالدّين لم يتأسس بل هو وحيٌ من الله سبحانه، وقد قال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ الله فاعبد وَكُن مِّنَ الشاكرين﴾ (سورة الزمر: 65)، وفي الإسلام معرفة الله لها ثلاثة روافد:

01: رافد الفطرة، التي فطر الله الناس عليها، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا...﴾ (سورة الأعراف: 172)، لذا قال تعالى:

---

[1]) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح: 24، الفقرة: 16.

[2]) سفر زكريا، الإصحاح: 2، الفقرة: 13.

[3]) الغزالي، المصدر السابق، ص: 35 وما بعدها.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الروم: 30-31)

02: رافد التأمّل في الكون المنظور، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة فصلت: 53)، فبه نعبد الله، قال سبحانه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (سورة الأنعام: 102)، وبه نجتنب الشرك، قال عزّ وجلّ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: 22)، وبه نعتمد ونتوكّل عليه، قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (سورة المزمل: 9).

03: رافد التدبّر في الكتاب المسطور، وهو وحي الله لكلّ النبيّين، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: 25)، وقال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (هود: 13-14).

ومن هنا يتبيّن أنّ زعمه أنّ الإسلام: "فكرةُ بالله أقلُّ مستوى من فكر الأديان"، كلام باطل، كما يتبيّن بجلاء حقيقةُ لا إله إلا الله في الإسلام ولدى كل المرسلين، فهي ثابتة لا تتغيّر[1]، فزعمه: "مرحلته المدنيّة تغيّر فكره عن الله" كلام باطل.

التشكيك الثاني

يرى جولد تسيهر أنّ الدّين تطوّر كذلك في مرحلته المدنيّة، فالنبيّ صلى الله عليه وسلم لما احتاج إلى الجهاد، ليحقّق المطالب الماديّة للدّولة، تغيَّر التَّصَوُّر عن الله، قال جولد: "وهكذا كان من الجهاد والنصر، المعتَبَرَيْن وسيلة لرسالته النبوية أنْ غيَّرا الفكرة عن الله، الذي أراد أن يؤكد في ذلك الحين، وما بعده النصر بقوّة السلاح، وممّا لاشكّ فيه أن محمّدا تصوّر الله بصفات مطبوعة بقوّة، بطابع التوحيد، الله الذي في سبيله قاد محاربيه وجعلهم يحملون ما تقتضيه سياسته من جهود"..."لكن الله أيضًا إلهُ الجهاد الذي يقاتل أعداءَه بواسطة النبيّ، وأتباع النبيّ، وهذه الصفة أدّت إلى نتيجة حتميّة، وهي أن

---

[1]) انظر: تعليق عبد الحليم النجار، مذاهب التفسير الإسلاميّ، ص: 171.

تمتزج بفكرة الله –كما كان يمثلها محمد– بعض السّمات الأسطوريّة التي تُقلِّل من شأنها، كما لو أنّ المحارب ذا القدرة اللانهائيّة في حاجة إلى الدفاع عن نفسه، ضدّ كيد أعدائه ومقاومتهم لا انقطاع بوسائل تشبه وسائلهم، وإن كانت أقوى منها، لأنّه حسب مثل عربيّ قديم مأثور "الحرب خدعة"، وفي القرآن ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (سورة الطارق: 15-16)، ويصف الله الطريقة التي يراها لعقاب منكري وحيه، باعتبارها كيدًا قويًا فيقول: ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (سورة الأعراف: 182-186)...ولكنّ كلمة "مكر" تدلّ على معنى أخطر من كلمة "كيد"...ولكنها تشمل أيضًا فكرة تدبير دسائس وكيدٍ ودسٍّ، وفي ذلك يقول القرآن: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة الانفال: 30)"[1] فجولد يزعم أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم اصطنع صفات الله بناء على المرحلة التي يعيشها، والحاجة التي تقتضيها.

الرد على هذا التشكيك

أمّا زعمه أن احتياج الإسلام إلى الجهاد كان مبرِّرًا لأنْ يغيّر الإسلام الفكرة عن الله، ليصوّر الله "بصفات مطبوعة بقوة" وأنّه "يقاتل"، وأنّه "إله الجهاد"...، فهذه مزاعم باطلة، لأنّ صفات الله عزّ وجلّ صفات توقيفية، والمسلمون يؤمنون بصفات الله عزّ وجلّ التي وردت في نصوص القرآن والسنة القطعيّة، إثباتًا ونفيًا، بلا زيادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: 11)، فهي صفات توقيفية، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأعراف: 180)، وهي كثيرة منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة الحشر: 21-24)، وسبق أن ذكرنا أنّ صفات الله تعالى في العقيدة الإسلاميّة صفات جلال وجمال، وكلاهما كمال، فصفات الجلال فتُثير الرّهَبَ، وصفات جمال تُثير الرّغَبَ، والمسلم يعبد الله تعالى رغبًا ورهبًا، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ (سورة الأنبياء: 90).

---

[1]) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص: 36-37.

ويستمرّ في زعمه الباطل أن الإسلام وصف الله تعالى: "بالكيد والمكر..."، وهذا كلام باطل، لأنّ صفات الله تعالى كلها حُسنى، دالّةٌ على أحسن المعاني وأكملها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (سورة الأعراف: 180)، وقال: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة الروم: 27)، أمّا "الكيد" و"المكر"...فثبتت منها أوصاف فعليَّة للهِ عزَّ وجلَّ في الكتاب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (سورة الطارق: 16)، واتّفق العلماء أنّها لا تُنسب إلى اللهِ تعالى على سبيل الإطلاق، ولا يجوز أن يُشتَقَّ لله عزّ وجلّ منها اسم، وإنَّما تُطلق في مقابل فعلٍ مماثل لها من مخلوق، لأنَّها في غير المقابلة لا تليقُ باللهِ سبحانه، وفي معرض المقابلة فهي في غاية الحكمة، وتمام القدرة، ويُسمِّي كثير من العلماء هذه المقابلةَ مُشاكَلَةً، فإن كانت هذه الأفعال على سبيل المشاكلة جاز نسبتها إلى الله تعالى، وإلّا فلا، يقول ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيرُ المَكرِينَ﴾ (سورة آل عمران: 54): "...والمكر فعل يقصد به ضُرُّ أحد في هيْئَةٍ تَخْفى عليه، أوْ تلْبِيسُ فعلِ الإضْرارِ بصورة النَّفع، والمُراد هنا: تدبير اليهودِ لِأخْذِ المسيح، وسعيهم لدى وُلاة الأمور ليمكِّنوهم من قتله، ومكر الله بهم هو تمثيلٌ لإخفاق الله تعالى مساعيَهم في حال ظنِّهم أن قد نجحت مساعيهم، وهو هنا مُشاكَلَةٌ، وجاز إطلاق المكر على فعل الله تعالى دون مشاكلة كما في قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ في سورة الأعْرافِ، وبعض أساتذتنا يُسَمِّي مثلَ ذلك مُشاكَلَةً تقديريَّة"[1]، وعليه فإنّ جولد يجهل أو يتجاهل هذه المعاني، وفي الحالين فهو قدح في زعمه الموضوعيّة، فزعمه أنّ صفات الله تعالى لدى تتطوّر وتتغيّر هو زعم باطل.

المطلب الثاني: تشكيك جولد تسيهر في النبوّات

التشكيك الأول

اعتبار أنّ ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وسلم ليس من قبيل النبوّة، ولا هو وحي، بل هو تأثيرات داخلية وأخرى خارجية، أمّا عن التأثيرات الداخلية يقول جولد: "هذا ومن خلال النصف الأول من

---

[1]) ابن عاشور، المصدر السابق، 3/ 256.

حياته، اضطرّته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارًا، أخذ يجترّها في قرارة نفسه وهم منطوٍ في تأمّلاته أثناء عزلته، ولميل إدراكه وشعوره بالتأملات المجرّدة والتي يلمح فيها أثر حالته المرضيّة، نراه ينساق ضد العقليّة الدينيّة والأخلاقيّة لقومه الأقربين والأبعدين، وبَدْءُ رسالته كانت تأمّلاته تأخذ طريقها إلى الخارج في شكل أمثال مضروبة للحياة الأخرى، كانت تفرض نفسها على مخيّلته بقوّة تزداد يوما بعد يوم، وهذه التأملات هي التي كوّنت الفكرة الأساسية التي بنى عليها تبشيره"[1].

ويقول عن هذه الحالة النفسية الانطوائية: "من أجل هذا علينا أن نذكر كلمة ذات مع معنى قالها "هارناك" عن الأمراض التي تصيب الرجال الذين فوق البشر دون سواهم، والتي يستقون منها حياة جديدة، كانت قبل ذلك مجهولة، كما يتّخذون منها قوة تهدّم جميع العقبات، ومن ذلك حميّة النبيّ أو الحواريّ"[2]، فالقضيّة إذًا نفسية، وهي تخيّلات وأوهام منشؤها اللاشعور ثمّ تتدفق لإشباع الرغبات...،

ومحصّلة كلامه أنّها ليست وحيًا، وحالته ليست حالة نبوّة، ثم أضاف إليها التأثيراتِ الخارجية، فقال: "وتبشير محمد ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرا عميقا"[3]، وأكّد هذا المزعم مرارًا وفي مواضع مختلفة، ومن ذلك قوله: "لقد أفاد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء"[4]، وحسب زعمه فهذا التلقي والاستفادة من اليهوديّة والنصرانيّة هما المؤسسان لنبوته وما تَخيَّله وحيًا فقال: "لقد تأثر بهذه الأفكار-يقصد اليهودية والمسيحية- تأثرا وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا إلهيا فأصبح بإخلاص على يقين بأنه أداء لهذا الوحي"[5].

الرد على هذا التشكيك

---

[1]) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص: 13-14.

[2]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 12.

[3]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 12.

[4]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 49.

[5]) جولد تسيهر، المصدر نفسه، ص: 13.

بيّنا سابقًا أنّ هذه المزاعم كلها باطلة، ولم تتأسس ببيان ولا حجة، وأنّه مجرّد تشكيك من أجل التشكيك فقط، افترضها بناء على فرضيّة التطوّر التي قال بها، وأبطلنا الكلام عن التأثيرات داخلية والخارجية، وأنّ هذه المزاعم باطلة من حيث المضمون، ومن حيث التاريخ، ولم يكن هذا التشكيك والتكذيب حصرًا على النبي صلى الله عليه وسلم فقط، بل كان قِسمة مع كلّ النبيين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (سورة الحج: 42-44)، وأكثر المكذبين هم بنو إسرائيل الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (سورة البقرة: 87).

التشكيك الثاني

تشكيك جولد تسيهر في نبوّة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بالطعن في شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم، حيث اعتبره جولد في مرحلته الأولى من حياته صاحب مرض نفسانيّ وحاشاه صلى الله عليه وسلم، فقال: "ومن خلال النصف الأول من حياته، اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط، استقى منها أفكارًا أخذ يجترُّها في قرارة نفسه، وهو منطوٍ في تأملاته أثناء عزلته، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة، والتي يلمح فيها أثر حالته المَرضيّة...وفي بدء رسالته كانت تأملاته تأخذ طريقها إلى الخارج في شكل أمثال مضروبة للحياة الأخرى كانت تفرض نفسها على مخيلته بقوة تزداد يوما بعد يوم، وهذه التأملات هي التي كوَّنَت الفكرة الأساسية التي بَنىَ عليها تبشيره"[1].

أمّا في مرحلته الثانية فاعتبره هاوي سفك الدماء، قال جولد: "فمنذ تَرْكِهِ مكّة تغيّر الزمن ولم يصر واجبًا بعدُ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الحجر: 94)، أو دعوتهم كما يقول القرآن: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل: 125)، بل حان الوقت لتتخذ كلمته لهجة أخرى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (سورة التوبة: 5)، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ

---

[1]) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص: 13-14.

عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: 244)، فهو الآن يحمل السيف في العالم، ولا يكتفي بـ "عصاه التي يضرب بها الأرض"، ولا بنفثات شفتيه لإبادة الكفَرَة، بل هو نفير الحرب الذي ينفخ فيه، وهو السيف الدامي الذي رفعه لإقامة مَمْلكتِه...إنه يحمل اللقب الذي ورد في التوراة وهو "نبي القتال والحرب"...بل كان عليه أن يقوم بكفاح مادي، في الأمة التي بُعِث فيها وفي العالم كله، لضمان ذيوع دعوته والاعتراف بسيطرتها وتعاليمها، وكان هذا الجهاد المادي العالمي هو الوصية التي تركها محمد لخلفائه، والنتيجة أنه لم يكن عنده أي إيثار للسلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (سورة محمد: 35-33)"[1]، وهكذا فإنّ جولد يتفنن في أوصاف النبيّ صلى الله عليه وسلم بـ: "الجهاد" و"تارك السلام" و"نبي القتال والحرب"...

الرد على هذا التشكيك

بيّنا سابقًا بطلان هذه المزاعم ككونه صلى الله عليه وسلم صاحب مرض نفسانيّ، حيث لم يقدّم أيّ حجّة وبرهان، وحاشى نبينا صلى الله عليه وسلم من هذا البهتان، كما بيّنّا بطلان مزاعم كونه صلى الله عليه وسلم كان هاوي دماء أو كان يجاهد من أجل المال، والمضمون الإسلاميّ خير دليل، والتاريخ الحاصل خير شاهد، ولكن سنة الله التي سرت مع جميع الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (سورة الذاريات: 52-53)، ومنهم نبي الله موسى عليهم السلام، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (سورة الذاريات: 38-39).

المطلب الثالث: تشكيك جولد تسيهر في السّمعيات

التشكيك الأول

اعتبار جولد تسيهر وجود الجن والملائكة من الأساطير والخرافات الوافدة على الإسلام، وفي ذلك يقول: "ومن التصوّرات التي رفضها المعتزلة، أو على الأقلّ جماعة من كبار من يمثلون مذهبهم، وقد نالت

---

[1]) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص: 134.

اعترافًا عامّا في الإسلام، بعض الآراء المتصلة بالإيمان بوجود الجنّ، وتأثيرهم في أعمال المجتمع الإنسانيّ، وقد أخذ الإسلام هذه الأفكار من الجاهليّة السابقة، وأدخلها في دائرة تصوّراته على طريقته، وقد ورد في القرآن نفسه إثبات وجود هذه الطبائع، وروى الحديث اتصالها بالنبيّ، وعلى رغمٍ من ذلك لم ينل تصوّر وجودها تأييدًا عقديًا دقيقًا في الإسلام، بمقدار الاعتقاد بوجود الملائكة وتحققها، بيد أنّه يمكن عدّها في التفكير الشعبي جزءًا ضروريًا في دائرة العقيدة الإسلاميّة، ورفض الإيمان بوجودها يبدو في نظر كل مسلم من المسلمين الأولين نزعة مثيرة للرَّيْب إلى انحلال العقيدة...لقد شكّلت المعتزلة كثيرًا هذه التصوّرات، وإن كان موقفهم منها لا يُعدّ من المسائل المذهبيّة الحاسمة"[1].

الرد على هذا التشكيك

فقد أخلط جولد الجنّ مع الملائكة، كما أخلط تصوّرات تأثير الجنّ في أعمال المجتمع الإنسانيّ بالإيمان بوجود الجنّ، وجاء بآراء شاذّة لا يُؤبه لها لبعض شواذّ المعتزلة، وعمّمها بقوله "وقد نالت اعترافًا عامّا في الإسلام" وهذا كذب، كما أنّ العقيدة الإسلاميّة لا ينظر إليها برأي فِرقة من فرق المسلمين، ولا شواذّ المسلمين، وإنّما تؤخذ من كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أمّا الإيمان بالملائكة فهو من أركان العقيدة الإسلاميّة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء: 136)، وحديث جبريل المشهور، قال: فما الإيمان؟ قال:«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»[2]، فهم عباد مُكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، خُلِقوا من نور، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم»[3]، فمزاعمه كلها باطلة.

التشكيك الثاني

---

[1]) جولد تسيهر، مذاهب التفسير، ص: 165-166.

[2]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم: 08.

[3]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، رقم: 60.

تشويه جولد تسيهر لصورة اليوم الأخر لدي المسلمين، فيقول: "لكنّ صورة اليوم المخيفة التي استوحى سماتها، أو قرّت في ذهنه بصفة خاصّة، من الأدب الدّيني للمحرّفين، لم يكن هناك أمل يقابلها في مملكة تكون في المستقبل للسماوات، فمحمد منذر بنهاية العالم، وبيوم الغضب والحساب، ولهذا نراه في نظريّته الخاصة بالدّار الآخرة يميل إلى جانب من التشاؤم، أمّا التفاؤل فهو نصيب المصطفين للجنّة دون غيرهم، ثمّ لم يبق له بريق من الأمل في هذا العالم الأرضي، إذًا ما كان يبشّر به خاصًا بالدار الأخرى ليس إلّا مجموعة موارد استقاها بصراحة من الخارج يقينًا، وأقام عليها هذا التبشير"[1].

الرد على هذا التشكيك

وهذه فرية أن يزعم أنّ "صورة اليوم...استوحى سماتها...استقاها بصراحة من الخارج يقينًا"، وهذا زعم باطل وافتراء على الدّين، الإيمان باليوم الآخر واحد من أركان الإيمان الستة، التي يجب الإيمان بها، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء: 136)، وحديث جبريل المشهور، قال: فما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»[2]، والإيمان باليوم الآخر هو إيمان بكل ما أخبر به الله سبحانه وتعالى في كتابه، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان، والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعاً، ولقد أنكره الكفّار فقال الله تعالى آمراً نبيه أن يقسم بربه على أن البعث حق لا ريب فيه، وأنه لا بدّ من وقوعه، ومحاسبة أولئك المكذّبين الجاحدين له، وأن ذلك لا يُعجز الله تعالى، بل هو عليه يسير: ﴿زَعَمَ الذِينَ كَفَرُوا أَن لَن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ (سورة التغابن: 7)، ويقول رادّا عليهم: ﴿وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (سورة مريم: 66، 67).

---

[1]) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ص: 15.

[2]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم: 08.

أمّا كونها صورة مخيفة فهذا كذب، لأنّ بشائر المؤمنين تبدأ قبيل الممات، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (سورة فصلت: 30)، وعند الممات، قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: 27-30)، والبشارة الكبرى بعد الممات، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة: 25)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه

وبعد فقد كانت هذه دراسة موجزة عن تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلاميّة، واكتفينا بذكر بعض أقوالهم ومناقشتها وردّها، ثمّ خصّصنا الحديث عن جولد تسيهر الذي جعلناه نموذجًا.

والذي نخلص إليه أنّ معاداة الإسلام ليس بالسلاح الحربيّ والعسكريّ فقط، بل حتى بالسلاح العلميّ والفكريّ، والأخير أشدّ وأنكى، لأنّ الأول لا يزيد المسلم إلا صلابة في دينه، وحِدّة في الذود عن حياضه، وأمّا الأخير فقد ينخدع به بعض المسلمين، وقد يُحدث فتنة بينهم وشرخا في صفوفهم، لذا وجب على المسلمين التنبّه لما يُحاك ضدّهم وضدّ دينهم من مؤامرات، خاصة في مجال الشبهات والتلبيسات التشكيكية في الدّين كلّه ومنه العقيدة، وسواءً كان هذا من المستشرقين أنفسهم أو من أتباعهم من أبنائنا، ثمّ الدفاع عن الدّين ضدّ الطاعنين فيه بالعلم، وتحصين عامّة المسلمين بالحكمة والتبصير، فعزّ المسلم في إسلامه، وعزّ إسلامه في عقيدته، وعزّ عقيدته في قوّتها ومتانتها، وذلك حينما تكون يقينيّة، وحينئذٍ لا يزيدها طعن الطاعنين ولا تشكيك المشكّكين إلّا قوة ومتانة، وكم تعاقب الطاعنون والمشكّكون في الإسلام، امّحوا فلم لهم ذكر، وبقي الإسلام شامخًا.

وهذا البحث يستدعي منّا مايلي:

01: الانتباه واليقظة وتتبع كل عدوان فكريّ على الإسلام من المستشرقين وأتباعهم، وخاصّة دسائسهم التي ظاهرها الانصاف.

02: الردّ على كل مفترياتهم بالردود العلمية والحجج المقنِعة، وكشف زيوفهم وتبديد سرابهم الذي زيّنوا به أبحاثهم زورًا، كل ذلك بعيدًا عن إلهاب المشاعر بالعواطف، وبعيدًا عن الطرق الوعظيّة.

03: حرص الجامعات في البلاد الاسلامية وبخاصة كليّات الشريعة الإسلاميّة على التصدي لكل من يسيء إلى الإسلام.

04: إنشاء مراكز علمية لإصدار موسوعة شاملة تترجم كل ما ذكره المستشرقون قديماً وحديثاً، والإشراف على الردّ عليها بموضوعيّة من كوكبة من العلماء، كلٌّ حسب اختصاصه.

05: استغلال الفضاءات العلميّة والإعلاميّة والإلكترونيّة لعرض كلّ الشبهات، والردّ عليها، والدّفاع عن حياض الإسلام.

06: وجوب التّعرف على الغرب وبلاياه، لمعرفة نعمة الإسلام.

07: وجوب الخروج من محلّ الدفاع إلى مواقع الهجوم بالحجة والبرهان.

والله الموفق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملخص الدراسة

بالعربية والإنجليزية

ملخص الدراسة بالعربية

تناولنا في بحثنا هذا تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلاميّة، وأخذنا جولد تسيهر نموذجًا لذلك، وقبل أن نشرع في تشكيكهم عرّفنا العقيدة الإسلاميّة، وتعرّفنا على مكوّناتها، وبيّنا صلتها باليقين، الذي كان محلّ التشكيك حتّى قبل المستشرقين، ثمّ انتقلنا إلى المستشرقين، وعرّفنا بهم وبحقيقتهم، وبتاريخهم، وأهدافهم، ووسائلهم، ثمّ تطرّقنا إلى تشكيكاتهم في العقيدة الإسلاميّة، وأبرزنا أثرها على المسلمين، وشرعنا بتقسيمها إلى تشكيكات في كلّيات الدّين، التي استهدفت الإسلام أساسًا، ثم استهدفت القرآن والسنّة، لأنّهما مصدرا العقيدة الإسلاميّة، وإلى تشكيكات في مسائل عقديّة، وأخذنا نموذجين من التشكيكات عن كل حالة، وقمنا بالرّد عليه مباشرة، وأخيرًا أخذنا تشكيكات جولد تسيهر، وعلى نفس التقسيم السابق، وأخذنا نموذجين من كل تشكيك، ورددنا عليه مباشرة.

ملخص الدراسة بالإنجليزية

In our research, we dealt with the orientalists' questioning of the Islamic faith, and we took Gold Ziher as a model for that, and before we started to question them, we defined the Islamic faith, and we got acquainted with its components, and showed its connection to certainty, which was questioned even before the orientalists, then we moved to the orientalists, and introduced us to them and their truth, With their history, their goals, and their means, then we touched on their skepticism in the Islamic faith, and highlighted its impact on Muslims, and proceeded to divide it into skepticism in the faculties of religion, which mainly targeted Islam, and then targeted the Qur'an and Sunnah, because they are the source of the Islamic faith, and to skepticism in doctrinal issues, and we took two examples. From the complaints about each case, and we answered it directly, and finally we took Goldziher's complaints, according to the same previous division, and we took two forms from each questioning, and we responded to it directly.

المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم

الحديث الشريف: البخاري، مسلم، أحمد، أبوداود، الترمذي

01/ ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين (ت: 395 ه)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، بتاريخ: 1399هـ-1979م.

02/ ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين الأنصاري (ت: 711)، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة: 1414 ه.

03/ القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبد الله الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية –القاهرة، الطبعة: الثانية، عام: 1384ه - 1964م.

04/ الزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي محبّ الدين أبي فيض، تاج العروس من جواهر القاموس، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب -الكويت، أعوام النشر: (1385- 1422 ه) / (1965 – 2001 م).

05/ أبو جيب سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الناشر: دار الفكر دمشق –سورية، الطبعة: الثانية، سنة: 1408هـ-1988م.

06/ إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة.

07/ الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي، العقيدة في الله، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة: الثالثة، سنة: 1403هـ-1983م.

08/ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية –بيروت.

09/ السفاريني، محمد بن أحمد شمس الدين أبو العون الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها -دمشق، الطبعة: الثانية، سنة: 1402هـ-1982م.

10/ ضميرية، عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الثانية، سنة: 1417هـ-1996م.

11/ الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى، سنة: 1403هـ-1983م.

12/ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الناشر: الدار التونسية للنشر -تونس، سنة: 1684هـ.

13/ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة، الطبعة: الأولى، عام: 1417هـ-1997م.

14/ الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد أبو القاسم (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية -دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، عام: 1412هـ.

15/ جريشة، علي محمد، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، عام: 1399هـ- 1979م.

16/ أحمد أنور سيد أحمد الجندي (ت: 1422هـ)، تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين 1920/ 1940، الناشر: دار الاعتصام.

17/ محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، الناشر: دار قتيبة -دمشق، الطبعة: الثانية، عام: 2002م.

18/ قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، الناشر: دار الرفاعي –الرياض، الطبعة: الأولى، عام: 1403هـ-1983م.

19/ زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية، الناشر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية –قطر، الطبعة: الأولى، عام: 1404هـ.

20/ سمايلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق، الناشر: دار الفكر العربي، عام: 1418هـ-1998م.

21/ إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة: الدكتور محمد عناني، الناشر: دار بنجوين العالمية، عام: 1995م.

22/ علي حسني الخربوطلي، الاستشراق في التاريخ الإسلامي، الناشر: الهيئة المصرية العامة –القاهرة، عام: 1988م.

23/ مصطفى الخالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار، الناشر: المكتبة العصرية –بيروت، الطبعة: الثالثة، عام: 1986م.

24/ علي محمد جريشة وزميله، أساليب الغزو الفكري، الناشر: دار الاعتصام –القاهرة، الطبعة: الأولى، عام: 1977م.

25/ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر –القاهرة، عام: 1998م.

26/ الغزالي، محمد، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، الناشر: دار النهضة –القاهرة

27/ حبنكة الميداني، عبد الرحمان حسن، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار، الناشر: دار القلم –دمشق، الطبعة: الثامنة، عام: 2000م.

28/ على بن إبراهيم النملة، الاستشراق والقرآن الكريم، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد: الثالث، السنة: الثانية، جانفي 2007.

29/ عبد اللطيف طيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ترجمة قاسم السامرائي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –الرياض، عام: 1411هـ-1991م.

30/ عرفان عبد الحميد، المستشرقون والإسلام، الناشر: المكتب الإسلامي –بيروت، الطبعة: الثالثة، عام: 1403هـ-1983م.

31/ عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقديّة، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، عام: 1422هـ-2001م.

32/ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الثالثة، السنة: 1993م.

33/ نجيب العقيقي، المستشرقون، الناشر: دار المعارف –مصر، السنة: 1964م.

34/ الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين –بيروت، الطبعة: الأولى، السنة: 1992م.

35/ دراسات محمديّة، جولد تسيهر، ترجمة: الدكتور الصِّدّيق بشير نصر، عن مركز العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق –لندن، الطبعة: الثانية، سنة: 2009م.

36/ جولد تسهير، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، وعلي حسن عبد القادر، عن دار الكاتب المصري –القاهرة، سنة: 1946م.

37/ جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي –القاهرة، ومكتبة المثنى –بغداد، الطبعة: الأولى، سنة: 1955م.

38/ محمد حسن حسن جبل، الرد على جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، مصر، الطبعة: الثانية، عام: 1423هـ-2002م.

المراجع

01/ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الناشر: الشركة العالمية للكتاب – بيروت، تاريخ النشر: 1994م.

02/ ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن شهاب الدين أبو الفرج زين الدين البغدادي ثم الدمشقي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة: السابعة، عام: 1417هـ-1997م.

03/ القِنَّوجي، محمد صديق خان بن حسن أبو الطيب، أبجد العلوم، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، 1423هـ- 2002م.

04/ الكفوي، أيوب ابن موسى الحسيني القريمي أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، د.ت.

05/ النووي، يحي بن شرف أبو زكريا محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الثانية، عام: 1392هـ.

06/ التهانوي، محمد بن علي بن محمد حامد الحنفي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون –بيروت، الطبعة: الأولى، عام: 1996م.

07/ محمد عبد الرحمن مرحبا، الموسوعة الفلسفية الشاملة، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، الناشر: عويدات للنشر والطباعة - بيروت، عام: 2007.

08/ التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدّين (ت: 793هـ)، شرح المقاصد في علم الكلام، الناشر: دار المعارف النعمانية -باكستان، الطبعة: الأولى، عام: 1401هـ-1981م.

09/ محمد علي الزعبي، الماسونية في العراء، الناشر: معتوق إخوان، عام: 1393–1972

10/ أنور الجندي، المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية في غزو الفكر الإسلامي، الناشر: دار الاعتصام، الطبعة: الثانية، عام: 1397هـ-1977م.

11/ أحمد رضا، معجم متن اللغة، الناشر: دار مكتبة الحياة –بيروت، عام: 1379هـ-1960م

12/ خليل عبد الكريم، الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، الناشر: سينا للنشر مصر، الطبعة: الأولى.

13/ محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، الناشر: مركز الإنماء القومي -مصر، الطبعة: الثانية.

14/ محمد السعيد الزاهري الجزائري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، الناشر: دار الكتب الجزائرية، دون تاريخ.

15/ ليون روش، مذكرات "اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام"، ترجمة محمد خير محمود البقاعي، الناشر: جداول للنشر بيروت، 2011.

16/ كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلاميَّة، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين –بيروت، الطبعة: العاشرة، سنة: 1984م، ص: 31.

17/ محمد هادي معرفة، صيانة القرآن من التحريف، الناشر: مؤسسة التمهيد.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الفصل الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية وحقيقة التشكيك فيها	06
المبحث الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية	07
المطلب الأول: تعريف العقيدة الإسلامية	07
المطلب الثاني: مضامين العقيدة الإسلامية وأسماؤها	10
المبحث الثاني: التشكيك في العقيدة الإسلامية	16
المطلب الأول: صلة العقيدة الإسلامية باليقين	16
المطلب الثاني: التشكيك في العقيدة الإسلامية	21
الفصل الثاني: المستشرقون وتشكيكهم في العقيدة الإسلامية	32
المبحث الأول: مفهوم الاستشراق والمستشرقين	33
المطلب الأول: تعريف الاستشراق والمستشرقين	33
المطلب الثاني: عوامل نشأة الاستشراق وتطوراته	37
المطلب الثالث: أهداف الاستشراق	40
المطلب الرابع: وسائل الاستشراق	43
المبحث الثاني: تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلامية	47
المطلب الأول: تشكيك المستشرقين في العقيدة الإسلامية وأثره	47
المطلب الثاني: نماذج من تشكيك المستشرقين في كلّيات الدّين	52
المطلب الثالث: نماذج من تشكيك المستشرقين في مسائل في العقيدة الإسلامية	60
الفصل الثالث: تشكيك جولد تسيهر في العقيدة الإسلامية	68
المبحث الأول: التعرّف على جولد تسيهر	68
المطلب الأول: ترجمة جولد تسيهر	68
المطلب الثاني أهم مؤلفاته:	70
المطلب الثالث: جهود العلماء المسلمين في الرد على جولد تسيهر	73
المبحث الثاني: تشكيك جولد تسيهر في كلّيات الدّين	75
المطلب الأول: تشكيك جولد تسيهر في مصدريّة الإسلام	75
المطلب الثاني: تشكيك جولد تسيهر في القرآن الكريم	81
المطلب الثالث: تشكيك جولد تسيهر في الأحاديث الشريفة	86
المبحث الثالث: تشكيك جولد تسيهر في مسائل في العقيدة الإسلاميّة	91
المطلب الأول: تشكيك جولد تسيهر في الألوهيّات	91
المطلب الثاني: تشكيك جولد تسيهر في النبوّات	96
المطلب الثالث: تشكيك جولد تسيهر في السّمعيات	99

فهرس الآيات

نصّ الآية	السورة/ الآية	الصفحة
ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ	البقرة/ 02	22
ٱلَّذِينَ يُومِنُونَ بِٱلْغَيْبِ...	البقرة/ 03	12
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...	البقرة/ 04	12
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً	البقرة/ 26	30
وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...	البقرة/ 36	27
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ...	البقرة/ 46	22
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ...	البقرة/ 62	31
وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً...	البقرة/ 80	67
قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...	البقرة/ 97-98	66
وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا	البقرة/ 109	80/28
وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى...	البقرة/ 111	67
لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...	البقرة/ 177	12
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	البقرة/ 244	79
اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...	البقرة/ 255	62
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ...	آل عمران/ 72	29
اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ	النساء/ 87	22
وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء	النساء/ 89	28
وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ...	النساء/ 163	54
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...	المائدة/ 03	60
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ...	المائدة/ 59	29
لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...	المائدة/ 82	49/27
وَكَذلكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ...	الأنعام/ 75	19
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ...	الأنعام/ 112	27
فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ...	الأعراف/ 20-22	27
قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ...	الأعراف/ 66	30
وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا	الأعراف/ 180-181	28
والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ	الأعراف/ 182-186	29
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ	الانفال/ 30	78
فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ	التوبة/ 05	79

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم...	التوبة/ 32	53/28
إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...	التوبة/ 45	22
وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا...	يونس/ 15	84
فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ	يونس/ 94	55
ومَا أَنتَ بِمُؤمِنٍ، لَّنَا...	يوسف/ 17	14
قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	إبراهيم/ 10	22
وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ	الحجر/ 39	27
وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ	الحجر/ 94	79
واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَاتِيَكَ الْيَقِينُ	الحجر/ 99	19
وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ	النحل/ 103	82
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	النحل/ 125	79
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ	الإسراء/ 61-62	27
بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ	الأنبياء/ 05	65
بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ	الأنبياء/ 18	29
اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ	الحج/ 75	54
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ	الفرقان/ 04-06	65
وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ	الفرقان/ 07-09	30
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ	الفرقان/ 60	63
وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ	الشعراء/ 192-195	84
بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ	النمل/ 66-67	30/24
وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ	القصص/ 68	54
أَلم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ	العنكبوت/ 01	29
وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ	العنكبوت/ 48	83
غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ	الروم/ 01	85
فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	الروم/ 30-31	23
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ	لقمان/ 04	12
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ	الأحزاب/ 01	56
إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ	غافر/ 59	22
وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا	الزخرف/ 45	56
ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ	محمد/ 04	28

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا	الحجرات/ 15	12
وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ	الأخدود/ 08	29
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ	الفلق/ 04	07

فهرس الآحاديث

نصّ الحديث	الراوي	الصفحة
أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله	مسلم	22
أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني	البخاري	84
أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟	البخاري	27
الإيمان: أنْ تؤمنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر...	البخاري ومسلم	12
خبّرني بهنّ آنفًا جبريل	البخاري	66
الخيل معقود في نواصيها الخير	مسلم	08
فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلّا الله	مسلم	22
فوالله لأن يهدي الله رجلا بك خير لك	البخاري	81
لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ	مسلم	59
لَتَتّبِعُنّ سَنَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ	البخاري	50
نحن أحق بالشك من إبراهيم	البخاري	26
نضَّر الله امرءًا سمِع مقالَتي فوعاها وحفِظها وبلَّغها...	أحمد والترمذي	15
وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان	مسلم	26